خيال مقاتل

تأليف : شون أوكيزي

ترجمة وتقديم: حسين اللبودي

مراجعة : د. أحمد النادي

العنوان الأصلي للمسرحية

The Shadow of a Gunman

A Tragedy in Two Acts

مقدمـة

تمتد فترة الانتاج الأدبي المسرحي عند شون أوكيزي لسبعة وأربعين عامـا، بدأت في عام ١٩١٧، وانتهت بوفاته عام ١٩٦٤. وحتى عام ١٩٣٥ كان أوكيزي قد أعد للنشر خمس مسرحيات ايرلندية فحسب، وتلا ذلك إعداده خمس مسرحيات من ذات الفصل الواحد حتى عام ١٩٥٨، وقد كان محور كل هذه المسرحيات هو الصراع المميت بين الإنجليز والايرلنديين، والذي تمخض عن نشوب حرب أهلية. ولذا فإن مسرحياته هذه تؤرخ للأحداث الرئيسية الهامة في تاريخ ايرلندا في السنوات الحاسمة منذ ١٩١٥ وحتى ١٩٢٢.

وقد نشرت مسرحية «خيال مقاتل» لأول مرة في عام ١٩٢٥، وكانت قد قدمت إلى «مسرح آبي» في دبلن في نوفمبر ١٩٢٢، وتمت الموافقة عليها في فبراير ١٩٢٣، ثم عرضت على المسرح لأول مرة في شهر أبريل التالي، تحت عنوان «خيال مقاتل : مأساة من فصلين».

تدور أحداث المسرحية في أحياء الفقراء القذرة في مدينة دبلن في عام ١٩٢٠، في الوقت الذي كانت تدور فيه رحى الحرب بين الإنجليز والايرلنديين عقب انتفاضة عيد الفصح عام ١٩١٦، عندما تصاعدت قوة الغارات والغارات المضادة التي يقوم بها الجيش الايرلندي الجمهوري وخصومه، لتمزق مجتمع مدينة دبلن المكتظة بالبشر، والتي سحقها الفقر

والمرض والأحوال المعيشية المتدنية. وهذا المجتمع هو مجتمع أوكيزي، الذي عاش فيه، وعانى من قسوته، وأصبح مألوفا جدا لديه، ولدى جيرانه ورفاقه.

أما عن صدى عرض هذه المسرحية خارج ايرلندا، فقد عرضت لأول مرة في حي الـ «وست إند» في لندن في مايو ١٩٢٧، ولم يلق عرضها نجاحا كبيرا آنذاك، لأنه كان قد سبق عرض مسرحيتي «جونو والطاووس»، و«المحراث والنجوم» لنفس الكاتب قبل عرض «خيال مقاتل»، ولقد لاقت هاتان المسرحيتان نجاحا كبيراً واستحسانا من النقاد، مما أثر على تقبل الجمهور لمسرحيتنا هذه.

وفي السنوات الأخيرة، بدأت مسرحية «خيال مقاتل» تلقى استحسان النقاد، وتحتل مكانة مرموقة لا تقل عن المكانة التي تحتلها المسرحيتان الأخريان. وقد أعيد عرضها في انجلترا وايرلندا في عام ١٩٨٠، ضمن الاحتفال بمرور مئة عام على مولد مؤلفها، فلاقت قبولا واسعا عند الجمهور والنقاد. وإذا كانت هناك بعض الهنات التي توحي بأن مؤلفها لم يبلغ فترة النضج الفني بعد، وإذا كانت هناك بعض المبالغات في استخدام الحركات الايمائية إلا أن ذلك لا يؤثر على كمالها بأي حال من الأحوال. فإن حرفية أوكيزي تبدو واضحة أشد الوضوح في قدرته على مزج عناصر الفكاهة والتهريج بعناصر الدراما والتراجيديا، خاصة عندما يقترب الفصل الثاني من نهايته. تلك الحرفية التي تطورت بعد ذلك، وبدت أكثر وضوحا في مسرحياته التالية، مثل «جونو والطاووس» و«المحراث والنجوم» و«ورود حمراء من أجلي».

وفي المقدمة التي كتبها الناقد كريستوفر موراي عند إعادة نشر مسرحيات أوكيزي احتفالا بمرور مئة عام على مولده، قال الناقد إن عظمة شون أوكيزي الأدبية تظل دائما في مركز الصدارة، وقد استشهد على ذلك ببعض العروض التي قدمت لمسرحياته، ومدى تكرارها على مدار السنوات، كما استشهد أيضا بالترجمات العديدة التي نشرت لمؤلفاته، وبالاهتمام الذي لقيه عند المفكرين والباحثين وكلما تمر السنوات، يزداد فهمنا وتقديرنا لهذا الكاتب المسرحي المبدع.

الشخصيات

دونال دافورين	
سيوماس شيلدز	
تومي أوينز	
أدولفوس جريجسون	سكان بأحد المنازل الشعبية
مسز جريجسون	
ميني باول	
مستر موليجان	المالك
مستر ماجير	جندي بالجيش الجمهوري الايرلندي
مسز هندرسون	من سكان منزل شعبي مجاور
مستر جاليكار	
أحد الجنود	

المنظر

- غرفة بمنزل شعبي بميدان هيلجوي – دبلن

- تمضي بضع ساعات بين الفصلين

- زمن المسرحية : مايو ١٩٢٠

الفصل الأول

غرفة بمنزل شعبي في ميدان هليجوي ، في الخلفية نافذتان وسعتان تطلان على فناء المنزل، وتحتلان على نحو عملي الحائط الخلفي بكامله. بين النافذتين خزانة تعلوها كومة من الكتب، أبوابها مشرعة وقد علق عليها بضع ياقات وأربطة للعنق. يمتد بمحاذاة النافذتين سرير نقال، كما يمتد سرير آخر بمحاذاة الحائط اليمنى. يوجد على رأس السرير الثاني باب يفضي إلى بقية أجزاء المنزل. الحائط اليسرى تمتد بميل يكفي لرؤية المدفأة التي تتوسطها بوضوح.

يعلو الجانب الأيمن لرف المدفأة تمثال للعذراء، ويعلو الجانب الأيسر تمثال للقلب المقدس وبينهما صليب. يوجد حول المدفأة عدد من أواني الطبخ شائعة الاستعمال. في وسط الغرفة منضدة عليها آلة كاتبة وشمعة وشمعدان وثلة من الزهور البرية موضوعة داخل مزهرية. كما يوجد كرسيان أحدهما بجانب المدفأة والآخر لدى المنضدة. منظر المكان يوحي بالفوضى المطلقة التي تحدثها – من ناحية ما تأصل في سيوماس من قذارة، وتحدثها من ناحية أخرى حدة مزاج دافورين – الأمر الذي تبدومعه استحالة إجراء أي تحسن على هذا المكان.

دافورين يجلس لدى المنضدة، يكتب على الآلة الكاتبة. يبلغ من العمر ثلاثين عاما. يعلو وجهه تعبير ينبيء عن حرب أبدية بين الوهن والقوة،

وخطوط الحاجب تنبىء عن رغبة في القيام بنشاط ما، بينما يظهر في عينيه ميل لا يقاوم إلى الراحة. كان صراعه عبر الحياة شاقا ، وعوّق جهوده فيها ما فطر عليه من حب (لعظمة التصميم وسر اللون، والإيمان بأن الجمال الخالد يكفر عن كل الأشياء). كان من الممكن أن تفضي به هذه الحياة إلى الجنون لولا حقيقة أنه لم يعرف حياة غيرها من قبل.

على بدنه ترتسم امارات الصراع من أجل البقاء، ومحاولات نحو التعبير عن الذات.

أما سيوماس شيلدز الذي يحتل السرير المحاذى للحائط اليمنى، فرجل قوي البنية في الخامسة والثلاثين، فاحم الشعر، شاحب المظهر، يكتنفه بين الحين والحين ما يكتنف الإنسان البدائي من إيمان بالخوارق، وإحساس بالخوف، ونزوع إلى العدوانية.

دافورين (يردد أحد الأغاني وهو يكتب)

عندما يمتد إلينا ذراعا الصيف العذب،

يداه الساخنتان المزهرتان،

تمتد إلينا وتضمانا كحبيبين بثوب العرس،

عبر الساعات المارقة العجلى

عندئذ، تنطفىء الأحزان، وقوى الآلام تخور،

تموت جميعا، وتبقى لنا الحياة وحدنا.

(طيف امـرأة يظهـر عند النـافـذة) تنقـر بشـدة على أحـد الواجـهـات الزجاجية، كما يسمع في نفس الوقت طرق عال على الباب).

صوت إمرأة عند النافذة : هل أنت صاح يا مستر شيلدز؟ مستر شيلدز هل أنت صاح؟ أما ستقوم اليوم أبدا؟

صوت بالباب : مستر شيلدز أما هنالك أية جدوى من الصياح عليك؟ إنها تمام التـاسـعة. أتدري كم السـاعة الآن يا مـسـتـر شيلدز؟

سيوماس : (بصوت عال) حاضر.

صوت بالباب : إذن، لم لم تبرح فـراشك بعد؟ ولا تكن سـببـا في إحالة البيت إلى مستشفى للأمراض العصبية...

سيوماس : حسن، حسـن. أف لهؤلاء الناس، وأفّ للطريـقـة التي يصـيـحـون بهـا على الإنسـان! أعـوذ بالله. أوشك أن أصدق بأن الايرلنديين لا يـزالون يعيشـون في العصـر الحجري. لو تمكن أحدهم منك لرماك بقنبلة.

دافورين : ألست الوحيد الذي قد يقتلعك من السرير هو انفـجار لغم تحته؟

سيوماس : (يتمطأ) أووه.. كنت نائمـا بين أحضـان مورفـيوس، ومـورفـيـوس هذا كـان أحـد الأرباب الجـهنمـيـة، ابن سمنوس، اليس كذلك؟

دافورين : أظن.

سيوماس : كان الخشخاش شعار اله، أليس كذلك؟

دافورين : آه، لا أعلم.

سيوماس : الجو بارد صباح اليوم، على ما أظن، أليس كذلك؟

دافورين : واضح تماما بأني لن أحظى بشيء من الهدوء في هذا البيت.

سيوماس : (بعد برهة) كم الساعة يا ترى؟

دافورين : دقت أجراس صلاة التبشير منذ بعض الوقت.

سيوماس : (يجلس في سريره فجأة) صلاة التبشير! لا يمكن أن يكون الوقت متأخراً إلى هذه الدرجة، أهذا صحيح؟ لقد طلبت منهم أن يوقظوني في الساعة التاسعة كي ألحق القداس قبل أن أسعى على رزقي. لماذا لم تفقني بلمسة من يدك؟

دافورين : أفيقك بلمسة من يدي! لم، يا رجل؟ لقد كانوا يقصفون الباب، ويطرقون النافذة طيلة الساعتين الماضيتين، حتى اهتز البيت من أساسه، ولكنك لم تبد أقل اهتمام بكل هذا الضجيج اللعين إلا بقدر ما أبديه من اهتمام بصوت يصدر عن جندب.

سيوماس : إنك لا تكترث بأحد وأنت منخرط في شعرك، ستصبح أرض القديسين عما قريب أرضا للشعراء الأفاقين (في قلق) أيكون ماجير قد حضر ثم رجع؟

دافورين : ماجير؟ كلا، لم يحضر ماجير إلى هنا. لماذا؟ هل كنت تتوقع حضوره؟

سيوماس : (في ثورة غضب) قال إنه سيأتي في التاسعة «قبل آخر دقة في التاسعة سأكون واقفا بالباب» ذلك ما قاله بالحرف، ولابد أنه قد حضر. كم الساعة يا ترى؟

دافورين : أوه، لابد أنها ناهزت الثانية عشر والنصف.

سيوماس : هل رأى أي مخلوق مثيلا للشعب الايرلندي؟ أهنالك أية فائدة ترجى من السعي لعمل شيء في هذا البلد؟ اربط كل شيء وجهزه، اربط كل شيء وجهزه.

دافورين : وهل ربطت كل شيء وجهزته؟

سيوماس : وما الفائدة من ربط أي وتجهيزه، في حين أنه لم يصل بعد، (ينهض ليرتدي ملابسه) لا عجب من أن يبقى هذا البلد المنحوس على ماهو عليه، إذ لا تستطيع الاعتماد على كلمة فرد واحد فيه. ربما تكاسل إلى درجة لم يستطع معها أن يبرح فراشه، سعادته يريد أن تهوّى له الشوارع أولا تهوية جيدة. آه كائلين في هوليهان، طريقك محفوف بالأشواك!

دافورين : أواه لي، واحسرتاه، ألم، ألم مقيم، ألم أبدي!

سيوماس : هذا البيت مأخوذ من مسرحية برميثيوس طليقا، للشاعر شيللي، ولكني لم اتفق مع شيللي يوما من الأيام، ليس لأن لدى ما اعترض به عليه كشاعر .. وكشاعر فقط، لكن...

دافورين : لأنه حصب الواجهات الزائفة بعدد من الأحجار.

سيوماس : لم يكن أول من فعل هذا ولن يكون آخرهم، إذ مع هذا فلا تزال هذه الواجهات باقية إلى اليوم، بل وأكثر من ذي قبل وشيللي يرقص تحتها رقصة الجاز.

(تصدر عنه ضحكة ساخرة تنم عن سرور (مصدر ما) حقيقة أنت سعيد، مسرور جدا، كما يهيأ لك، لأن شيللي ذلك الحساس، النبيل القلب، راقي الفكر يتألم لعذاب الآخرين.

سيوماس : إني سعيد ومسرور لأني أؤمن بالكنيسة والحق.

دافورين : أوه. أوه، عن الحق لا تعرف إلا أقل القليل، شأن أي إنسان آخر، أما عن الكنيسة، فاهتمامك بها لا يعدو اهتمام هذه القلة التي تدعي الإيمان، الدين الذي أنت عليه، لا يعدو – ببساطة – حالة خوف تعتريك من الله لئلا يعذب روحك في الآخرة، تماما كحالة الخوف التي

تعتريك من أن يضرب بدنك في الدنيا، جنود الهجانة، مرتزقة «البلاك» و«التاتز».

سيوماس : امض، يا جني، امض، سأضحك منك عندما يموت كلانا.

دافورين : لتضحك ماشاء لك عندما نموت.

سيوماس : (يرتدي ياقته ورباط عنقه) لا أظن اني بحاجة إلى الاستحمام هذا الصباح، هل أبدو على ما يرام.

دافورين : آه، على مايرام، ليس في اليوم متسع للاستحمام، ألم تستحم بالأمس؟

سيوماس : لقد شطفت جسمي بالأمس (يهم بتعبئة أشياء مختلفة داخل حقيبة.. ملاعق، شوك، أربطة أحذية، خيوط وما إلى غير ذلك) أفكر في أن أعرض عددا من هذه الحمالات أيضا، هائلة، يقدر ثمن الواحدة منها بست بنسات، جيدة الصنع، ألم ترها؟

دافورين : نعم، شاهدت إياها من قبل.

سيوماس : قيمة جدا. أرجو أن أحصل على عدد كاف منها. أنا بنفسي ارتدي زوجا منها، تجعلك تبدو فحوليان، فارسا رومانسيا، في منتهى المتانة (يعد الملاعق) بكل ربطة من هذه دستة : ثلاث... ست... تسع... عجيب!

إحدى عشرة فقط في هذه الربطة. يحسن بي أن أعد ربطة أخرى: ثلاث .. ست تسع .. يا إلهي! بهذه الربطة أيضا إحدى عشرة، ومنها واحدة عوجاء! الآن، يهيأ لي أن أعدهم جميعا، فلن يرتاح بالي حتى لو توهمت بأن في بعضها أكثر من دستة. . ولا نزال نتطلع إلى الحرية! أيتها الأرباب، انه لبلد مجيد! (تسقط واحدة فينحني ليلتقطها) آه، يا إلهي، وهاهي الحمالات بعد أن انقطعت!

دافورين : يظهر أنها قوية بما يكفي لأن يلبسها فحوليان، الفارس الرومانسي.

سيوماس : لقد شددتها أكثر مما ينبغي. وها هو صاحبنا ماجير لم يأت بعد. إنه يتكاسل في كثير من الأحيان عن أن يغتسل (وإذ يعالج الحمالات ينفتح الباب فجأة، ويندفع ماجير داخلا، يحمل حقيبته) أهذه هي التاسعة تماما؟ وما الفائدة من حضورك في هذه الساعة من اليوم؟ أما كان بوسعك أن تقول إنك لن...

ماجير : أعصابك. ما أتيت إلا لأقول لك إني لن استطيع الخروج اليوم إطلاقا. إذ لابد من أن أذهب اليوم إلى نوكسيدان.

سيوماس : نوكسيدان! وماذا بحق الله يدفعك إلى أن تذهب إلى نوكسيدان؟

ماجير : شغل.. شغل.... سأخرج لاصطياد الفراشات.

سيوماس : إذا طاب لك أن تستغفل أحدا، فاستغفل غيري، ولا تحاول استغفالي أنا، ها قد قمت بربط كل شيء من ساعات، وكان من الواجب أن تكون هنا في التاسعة لا أن تتأخر حتى الواحدة ثم تأتيني مندفعاً كثور مجنون لمجرد أن تقول: لابد من أن أذهب إلى نوكسيدان؟ هل تستطيع أن تؤجل الذهاب إليها حتى الغد؟

ماجير : مستحيل.. مستحيل يا سيوماس، فلو انتظرت حتى الغد، فاتت كل الفراشات. سأترك هنا هذه الحقيبة حتى مساء اليوم.

(يضع الحقيبة في أحد أركان الغرفة)

إلى اللقاء!! (يخرج قبل أن يدركه سيوماس)

سيوماس : (وقد بدت عليه امارات اليأس) آه، يا له من بلد تعيس! ها هو واحد ممن يعتقدون بأن الفضائل الأربع الكبرى لا وجود لها خارج ايرلندا. إني لا أود أن أفاخر بنفسي، ولا استطيع أن أطلق على نفسي المواطن الصالح، كما تطلق على نفسها هذه الفئة المتسكعة... لكني مازلت أذكر يوم أن كنت أقوم بتدريس اللغة الايرلندية ست ليال في الأسبوع، في حين أني كنت

أدفع السلاح في جماعة الإخوة الايرلندية. ويوم أن امتنعت الكنيسة عن أن تقيم الصلاة على روح جيمس ستفنسن، كتب بالقطران صلاة على روحه على درج الكنيسة البروتستانتية. pro-cathedral. والآن وبعد كل جهودي من أجل روزالين السمراء، يكون الرد الوحيد - الذي أظفر به من جمهوري - ثائراً على سؤال بسيط هو : ماذا يدفعه - بحق الرحمن - إلى أن يذهب إلى نوكسيدان؟

دافورين : أما كان من الأولى أن تجري خلفه وتسأله؟

سيوماس : صحيح، فعلا، حولها إلى نكتة. هكذا الشعب الايرلندي، يحيل الجد هزلا والهزل جدا، قسما اني أوشك أن أصدق بأن الشعب الايرلندي لا ولم ولن يرتفع إلى مستوى أن يحكم نفسه بنفسه. لقد نصبوا بالور ذا العينين ملكا على ايرلندا، وهكذا وقع عليها بأن لا ضمير ولا أمانة في البلاد من قاصيها إلى دانيها. حسن، أتمنى له يوما سعيدا في نوكسيدان.

(طرق بالباب)

سيوماس : (منزعجا) من الطارق، من هناك؟

دافورين : (أكثر انزعاجا) قف، كلمة السر . ألا يمكنك أن تذهب بنفسك لترى من الطارق؟

(يذهب سيوماس ناحية الباب، ويفتحه، يرى رجلا في حوالي الستين من عمره. يرتدي حلة من الصوف الأزرق الباهت وعلى رأسه قبعة نصف عالية، يبدو واضحا أنه لا يحب سيوماس، الذي يضن عليه بإظهار الاحترام له، وهو الأمر الذي يراه واجبا يؤديه المستأجر نحو المالك. يحمل في يده بعض الأوراق).

المالك : (متهكما) طاب يومك، يامستر شيلدز، أنا الذي يحييك، وأرجو أن تكون بصحة جيدة. على كل حال، فإنك تبدو بخير ولو أنك لا تستطيع أن تكون دائما بخير في مثل هذه الأيام.

سيوماس : لا يهم، سيان عندي أن أكون بخير أو أن أبدو بصحة جيدة.

المالك : إني سعيد جدا لسماع ذلك منك.

سيوماس : لا يهم، سيان عندي أن تكون سعيدا أو لا تكون، يا مستر موليجان.

المالك : يبدو أنك لا تميل لأن تكون متحضرا جدا يا مستر شيلدز.

سيوماس : ليكن في علمك يا مستر موليجان، إن كنت قد أتيت لإثارة أية مناقشات معي، فاسمح لي أن أقول لك إن لدي ما يشغلني.

المالك : أنا لم أحضر إلى هنا لإثارة أية مناقشات، واسمح لي أن أقول لك، إنه لا جدوى من إثارة أية مناقشات معك.

سيوماس : لا وقت عندي للوقوف هنا والتحدث معك، واسمح بأن أغلق الباب، يا مستر موليجان.

المالك : لن تغلقه حتى تسمع ما أريد قوله.

سيوماس : حسن، قل إذن، ثم امض إلى سبيلك.

المالك : أنت رجل قـوي جـدا وعـال جـدا، لكن حـذار، فلن تحصـل على قطـرة واحدة، يالك من طفـل رضـيع لا يعـرف مـاذا أتى بي إلى هنا! ربما ظننت بـأنني مـا أتيت إلا لأدعوك لتناول الشاي!

دافورين : أواه لي، واحسرتي، ألم، ألم مضن، إلى الأبد!

سيوماس : ألن تسمح لي بإغلاق الباب يا مستر موليجان؟.

المالك : إني هنا أريد إيجاري، أو لا تروق لك فكرة أن يطالبك أحد بتسديد ديونك القانونية العادلة؟

سيوماس : ستـأخـذ إيجـارك عندمـا تتـعلم كيف تحـتـفظ بدفـتـر إيجارك على نحو سليم.

المالك : لن أتلقى منك دروسا، على أية حال.

سيوماس : لا أريد أن أتحدث معك أكثر مما تحدثت يامستر موليجان.

المالك : تتحدث أو لا تتحدث، فأنت مدين لي بما قيمته إيجار أحد عشر أسبوعا وهذا مسجل عليك بالحبر الأسود على الورق الأبيض.

سيوماس : لا يهمني سواء أكان مسجّلاً بالأخضر أو بالأصفر أو بالأبيض.

المالك : أنت مواطن مستقل، ولعله من الأصلح لك أن تكون أقل سخرية منا، وتكف عن محاولة النصب على الشرفاء المحترمين.

سيوماس : الزم حدك، واحترس من لسانك يامستر موليجان، فلايزال بعد بالبلد قانون.

المالك : أكيد لا يزال بالبلد قانون، وحسبنا لك نصيبا منه (يقدم له الأوراق) خذ، هذه لك.

سيوماس : (يتردد في أخذها) لا أرغب في التعامل معك يامستر موليجان.

المالك : (يرمي الأوراق في وسط الغرفة) وما العمل؟ كان يوما أسود يوم أن دخلت هذا البيت. لعل في هذه

الإشعارات ما يجعلك تتوقف عن كتابة الرسائل إلى الصحف عني وعن بيتي.

دافورين : أرجوك، تفاهم مع الرجل بالحسنى، ولا تناقشا الموضوع كزوج بدائي من سكان الكهوف.

سيوماس : (لا يلقي بالا له) كتابة الرسائل للصحف مهمتي، وسأكتب ماشاء لي أن أكتب، ووقتما أكتب، وبالطريقة التي تروق لي.

المالك : لكن لن تكتب عن هذا البيت أيا كانت الظروف. تستطيع أن تهول من الحالة التي عليها الساحة، لكن لا تكتب كلمة عن الايجار، طبعا، ذلك لا يدخل في اختصاصك. لكن مادمت كارها لهذا البيت، تستطيع أن تحمل عصاك وترحل إلى غيره.

سيوماس : سأرحل يامستر موليجان في الوقت المناسب، وهو ليس ببعيد.

المالك : لا تقنع بعد دفع الايجار، وتسكّن من الباطن (يوجه الكلام إلى دافورين) لا أقول شيئا ضدك يا سيدي. تسكن من الباطن دون علمي؟ ماذا جرى لهذا العالم حتى يصبح منزل الإنسان ملكا لغيره؟ لكن، عما قريب، سأضع حدا لجموحك، ففي الثامن والعشرين

من الشـــهــر القـــادم لابد أن ترحل، ولن يأسف على رحيلك أحد.

سيوماس : سأرحل، وقتما يروق لي.

المالك : سنرى.

سيوماس : آه، سنرى.

المالك : نعم، سنرى (يخرج المالك ويغلق سيوماس الباب)

(من الخــارج) ليكن في علمك، أنا لا أهـزل، لن تمكث في هذا البيت دقيقة واحدة بعد الثامن والعشرين.

سيوماس : (مزمجرا) آه، اذهب إلى الجحيم.

دافورين : (يذرع الغرفة بقدر ما يسمح له الفراغ) بحق الرحمن، ماذا أغراني بالمجيء إلى منزل كهذا؟

سيوماس : الموضـوع بسيط جدا عندما تعتاد عليه، أنت حساس جدا. كل مـا في الأمـر ان الأوغـاد قـد أهاجـوا عليك الريح.

دافورين : أهاجو عليّ الريح؟

سيوماس : يظن أنك متهرب من الشرطة، ويخشى الإغارة على البيت والإطاحة بدرته الغالية.

دافورين : لكن لماذا – بحق كل ذي عـقل يفـهم – يظن بأني متهرب من الشرطة؟

سيوماس : ثق بأن جميع من هنا يظنون أنك متهرب.. هذا ما تظنه مسز هندرسون، وهو ما يظنه تومي أونيز، وما تظنه أيضا ميني باول (يلتقط حقيبته)، من الأفضل أن أخرج إن كان لي أن أفعل اليوم شيئا.

دافورين : وماذا أنت فاعل بإنذارات الطرد هذه؟

سيوماس : ضعهم على المنضدة خلف أحد هذه التماثيل.

دافورين : أقصد : أي إجراء حيالهم؟

سيوماس : لاوقت عندي للتوقف الآن، وسنتحدث بشأنها عندما ما أعود. سأدير ظهري لهذا الأحمق موليجان. كم أتمنى أن يأتوا ويحيلوا هذه العشة إلى حطام، لأنها أعز ما يفكر فيه، تصور أن هذا الأحمق موليجان يدعى أنه من سلالة غاليّ بأنبا الأصلاء.

(وإذا يخرج يردد هذه الكلمات)

آه كاثلين في هوليهان، طريقك محفوف بالأشواك!

(يخرج)

دافورين : (ويعود إلى المائدة، ويجلس ليكتب على الآلة الكاتبة)، آه دونال أوج أو دافورين، طريقك محفوف بالأشواك.

منتهاك أسوأ من مبتداك، أواه لي، واحسرتي، ألم، ألم مقيم، وإلى الأبد. حالي يشبه حالـك يابروميثيوس : لا تحول، لا توقف، لا أمل. آه، دنيا، دنيا، دنيا! (طرق خفيف بالباب) وها هو أحد زبانية الجحيم جاء ليعذبني.

(طرقة أخرى)

دافورين : بوسعك أن تطرق حتى تكلّ.

(ينفتح الباب، وتدخل ميني باول في اعتداد لا تكلف فيه.. لا نتوقع أنها على شيء منه نظرا لطرقها الباب على استحياء. فتاة في الثالثة والعشرين، لكن اضطرارها الاعتماد على نفسها في كسب قوتها - نتيجة لموت أبويها في سن مبكر - أكسبها قوة وثقة تتجاوزان سنها. لقد فقدت الإحساس بالخوف (فهي لا تعرف السبيل إليه)، ولهذا فهي متبسطة، متحررة، جريئة في كل الأماكن التي تتردد عليها وأمام كل الناس، حتى أولئك الذين نشأوا نشأة أرقى حينما التقت بهم في النطاق المحيط بأفراد طبقتها. شعرها بني، لا بالفاتح ولا بالداكن، لكنه يجمع بين هذا وذاك تبعا لما يسقط عليه من ضوء. قوامها الرشيق - وهو شيء نادر

في فتاة مدينة – تكسوه بدلة بنية من صنع حائك خاص، جواربها وحذاؤها في لون بني أكثر دكنة من بدلتها ويتوج هذا القوام شال حريري أزرق).

ميني : هل أنت موجود يا مستر شيلدز؟

دافورين : (بسرعة) لا، غير موجود. يا ميني، خرج لتوه، ولو أسرعت الخطى إلى الخارج لأدركته بكل تأكيد.

ميني : أوه، وهو كذلك يا مستر دافورين، بإمكانك أنت أيضا أن تلبّي طلبي، في الواقع ما أتيت إلا طلبا في قطرة من الحليب لكوب من الشاي، أرجو ألا أكون قد سببت لك إزعاجا بهذه الطريقة، لكني متأكدة من أنك لن تؤاخذني.

دافورين : لا، لا شيء على الإطلاق، إني مسرور بكل تأكيد (يناولها الحليب) هاهو، هل لك في أن تأخذي ما يكفيك؟

ميني : كثير جدا، جدا، شكرا. أتبقى بمفردك بالبيت طوال النهار يا مستر دافورين؟

دافورين : في الحقيقة لا، وإن كنت أتمنى من الله.

ميني : لكن ذلك في غير صالحك. فلست أدري كيف يروق لك أن تخلو بنفسك.. إني لا أصمد على الوحدة طويلا.

دافورين : (متعبا) لا.

ميني : فعلا، لا (جذلة) لا أعزم بشيء في حياتي قدر غرامي برقصة الهولي. رقصتها يوم الأحد الماضي ورقصت الحلقات حولي.. يومها كان تومي اوينز موجودا.. هل تعرف مستر تومي اوينز، ألا تعرفه؟

دافورين : لا استطيع القول بأني أعرفه

ميني : ألا تعرفه؟ ذلك الشاب النحيل الذي يقيم مع أمه في المزدوج الخلفي (في جدال) أنه عازف ارغن ماهر

دافورين : أحد الموهوبين من أبناء اورفيوس، أليس كذلك؟

ميني : (التي لم تسمع من قبل بأورفيوس) قلتها يا مستر دافورين، إنه فعلا ابن باتي اوينز المسكينة، ذلك الفتى الهش الواهي، المعتل، الذي لا يفيق من الشراب يوما من الأيام، ودائما ما يتحدث في السياسة، لكن، يا له من فتى مسكين، لقد قتلته في النهاية.

دافورين : لابد للواحد من مواصلة الشراب وهو يتحدث في السياسة ياميني، فالخمر هي الشيء الوحيد الذي يجعل للسياسة طعما.

ميني : تومي، يتشبه بصاحبنا أيضا، إذ بوسعه أن يتحدث من الصباح إلى المساء عندما يتناول بضع زجاجات.

(فجأة – شأنها في ذلك شأن كل أفراد طبقتها – لا تصمد للمناقشة طويلا حول موضوع واحد، وأفكارها تتنقل من شيء لآخر) الشعر شيء راق يامستر دافورين، بودي لو استطيع كتابة قصيدة.. قصيدة رائعة عن ايرلندا و«رجال ٩٨».

دافورين : أوه، ان لدينا من ذلك الكثير يامينى،... عن «رجال ٩٨» وأيضا عن ايرلندا...

ميني : آه، هنالك شيء ما من قبيل ما يقوله رجل جمهوري، لكني أدرك ما ترمي إليه .. حان الوقت لأن نهجر القلم ونمضي لحمل السلاح (تقع عيناها المتجولتان في أنحاء الغرفة على الزهور الموضوعة في المزهرية) ماذا يفعل مستر شيلدز بهذه الأعشاب الشيطانية؟

دافورين : إنها لا تخص شيلدز، بل تخصني أنا. وتسميتها بالزهور البرية يا ميني، ألطف من الأعشاب الشيطانية. فهذه هي زهور البنفسج البري، وهذه زهرة الحناء، وهذه زهور السيلاندين، زهرة جميلة تنتمي لفصيلة الأعشاب الزهرية

(يستشهد بالشعر)

ذات يوم، عندما كانت عيون الصباح المسبلة

تتألق بشروق شمس الربيع

تشبثت يداي بيديك يا حبيبة القلب،

ويداك تشبثت بيدي

ركعنا، كمن يتعبدون حيال زهرة السيلاندين الذهبية.

ميني : أوه، أهي بكل هذا الجمال؟ أليست القصيدة جميلة أيضا؟! والآن، هل لي أن أعرف من هذه السيدة؟

دافورين : من؟ العبدة؟

ميني : لماذا الـ... (في تخابث) آه، لعلك لا تعرفها.

دافورين : أعرفها؟ أكيد لا أعرفها.

ميني : لا عليك، على كل حال هذا أمر يخصك وحدك، يهيأ لي أني لا أعرفها.

دافورين : تعرفينها؟ تعرفين من؟

ميني : (في خجل) تلك التي تشبثت يداها بيديك.

دافورين : آه تلك..! كل ما في الأمر أن هذه قصيدة استشهدت بها في معرض الحديث عن زهرة السيلاندين، وقد تنطبق على أي فتاة، عليك مثلا.

ميني : (وقد أحست بارتياح كبير، تقترب منه وتجلس إلى جواره) ومع هذا فهنالك من تستأثر بقلبك، يا مستر دافورين، أليس كذلك يا مستر دافورين؟

دافورين : أنا، كلا، ولا واحدة، ياميني.

ميني : أوه، تستطيع أن تقول هذا لغيري، ألست شاعرا، والفتيات يغرمن بالشعراء؟

دافورين : قد يكون ذلك صحيحا، لكن الشعراء لا يغرمون بالفتيات.

ميني : ذلك ما نقرأه في كتب الروايات، بل إنهم يغرمون بأكثر من واحدة يا مستر دافورين (في نظرة متسائلة) ألا تغرم بالفتيات يا مستر دافورين؟

دافورين : بالطبع، أحبهن يا ميني خصوصا أولئك اللاتي يضفين على سحرهن سحرا آخر بالطريقة التي يعرفن بها كيف يرتدين ملابسهن، مثلك مثلا.

ميني : هذه مجاملة منك، يا مستر دافورين.

دافورين : كلا، حقيقة أنا لا أجاملك يا ميني، فأنت بالفعل فتاة صغيرة فاتنة.

ميني : لو كنت حقا فتاة صغيرة فاتنة كما تقول، إذن، لنظمت قصيدة في فتنتي.

دافورين : (وقد استمالته جاذبية ميني، يمسك بيدها) سأفعل.. سأفعل يا ميني، فطالما كتبت في فتيات في أقل من نصف جمالك.

ميني : آه، عرفت الآن، أن هناك من كانت تستأثر بحبك، عرفت ذلك الآن.

دافورين : غير صحيح، فليست كل من يكتب عنها شاعر بحبيبة قلبه، آني لاورى مثلا، لم تكن حبيبة للشاعر بوبي بيرنز.

ميني : دعك من هذا القول، وإلا فمن الذي قال: «لأجل آنى لاورى الجميلة، استسلم وأموت»

إذ ما من رجل يستسلم ويموت لأجل أي واحدة، اللهم إلا إذا كانت عشيقته، فالرجل لا يستسلم أو يموت هكذا لأي واحدة حتى لو كانت زوجته.

دافورين : ما من رجل يا ميني، يموت عن طيب خاطر من أجل أي شيء.

ميني : إلا في سبيل و طنه، مثل روبرت ايميه.

دافورين : وحتى هذا، لو كان بيديه أن يعيش لفعل، فهو لم يمت من أجل تحرير ايرلندا، وإنما مات لأن الحكومة البريطانية هي التي قتلته إنقاذا للأمة البريطانية.

ميني : أوه، هذا مجرد تندر منك يا مستر دافورين، فأنت تود أن تموت في سبيل وطنك.

دافورين : لا أعرف الكثير عن التندَر.

ميني : كلا، إنك تود الموت في سبيل وطنك.. فأنا أعرف من تكون.

دافورين : من أكون؟

ميني : (هامسة) مقاتل متخف!

دافورين : (وقد استطاب الفكرة إلى درجة لم يستطع معها إنكارها) قد أكون، وقد لا أكون.

ميني : أوه، إني أعرف، إني أعرف، أعرف. ألا تشعر أبدا بالخوف؟

دافورين : بالخوف؟.. ممّ؟

ميني : ممّ ؟ من الكمائن طبعا. ان بدني كله يرتعد خوفا لمجرد سماع طلقة واحدة، وإلا فما بال من يكون في قلب النار؟

دافورين : (مبتهج لما تبديه ميني من إعجاب به، فيتكىء على كرسيه إلى الوراء، ويشعل سيجارة في تصنع هادىء) لا أخفي عليك بأن الإنسان يتوتر في أول الأمر، لكنه يعتاد على ذلك بعد مضي وقت قليل، وفي النهاية

يستطيع أي مقاتل أن يقذف قنبلة، غير عابىء بأي شيء إلا بقدر ما يعبأ له تلميذ في المدرسة عندما تقذف كرة من الثلج.

ميني : (جادة) ومع هذا، فبودي لو ينتهي كل شيء (فجأة، وبصوت فيه رجفة)، احتط لنفسك، أليس كذلك يا دونال، أقصد، يا مستر دافورين.

دافورين : (جادا) ناديني دونال، ياميني، نحن الآن أصدقاء، أصدقاء كبار (يلف ذراعه حولها) هيا يا ميني، ناديني دونال، دعيني اسمعها منك دونال.

ميني : هذه الغرفة في أمس الحاجة إلى التنظيم... دونال، والآن هل أنت مستريح هنا؟ (بسرعة، وقد اعتراها شيء من الخوف لما تحرك في نفس دافورين من انفعالات) إنها فعلا، في حاجة إلى ذلك.. عندي غدا نصف يوم... سأحضر من فوري، وأنظمها بقدر المستطاع..

دافورين : (وقد تخوف من هذا الاقتراح) كلا، كلا، يا ميني، إنك لأكبر وأجمل من أن تقومي بهذا العمل، فضلا عن أن سكان البيت سيتقدمون عليك بكل تأكيد.

ميني : وهل تظن بأن ميني باول تحسب حسابا لأي منهم، سواء تقولوا أم لم يتقولوا. لقد كان على ميني باول أن

تشق طريقها عبر الحياة، حتى هذه اللحظة دون عون من أحد، وها هي الآن تعمل ما يروق لها عمله دون استئذان من أحد.

دافورين : (وقد نسي تحفظه في غمرة إعجابه بشجاعتها الاستقلالية)روحي أنت يا ميني، سباقة إلى الفعل، بمثل ما أنا سباق إلى الفكر، القوتان اللتان ستوجهان «ما آل إليه نظام الكون المؤسف، وتشكلان العالم على نحو أقرب لرغبة القلب» . ميني الصغيرة الحسناء، والشجاعة بالمثل، ميني الصغيرة الشجاعة والحسناء بالمثل.

(يرفع رأسها المطرقة بيده الأخرى، ويتطلع إليها في شوق، وإذ ينحني عليها يهم بتقبيلها يظهر تومي اوينز عند الباب الذي تركته ميني عند دخولها مواربا، تومي شاب في الخامسة والعشرين. نحيف، ضعيف البنية، تخرج الكلمات منه في تشدق وخفة، مبحوح الصوت بسبب تعاطيه الشراب في إسراف، والتدخين المتواصل . ويحاول التخلص من هذه البحة بسعلة بين الحين والآخر. وتومي من هذه الفئة التي تؤله الأبطال، ويتوق – شأن الكثيرين غيره – إلى توثيق صلته بمن يرى فيهم أنهم أشجع منه، ويسعى إلى كسب ودهم عن طريق التشبه بهم. يتحدث في كلمات بطيئة

متشدقة متقطعة. لقد تناول لتوه قدرا قليلا من الشراب - لا يزال أمامه وقت طويل حتى يسكر - الأمر الذي يجعله كثير الكلام. يرتدي بدلة شبيهة بزي العمال، تصدر عنه سعلة خفيفة إيذانا وتنبيها بقدومه).

تومي : أنا لم أر شيئا.. ظننت أنك تتعلمين الطباعة.. مستر دافورين يعلّمك.. لم أر شيئا آخر.. أعنّي يا إلهي

ميني : لو اكترثنا بما رأيت لانهالت علينا المتاعب يا تومي أوينز.

تومي : فعلا يا ميني، لتومي اوينز قلب.. مساء الخير يا مستر دافورين.. لا تؤاخذني على دخولي.. أنا تومي اوينز . أسكن هنا في المزدوج الخلفي . أعمل في ملهى روس والبول.. مستر شيلدز يعرفني تماما.. ينبغي ألا تخاف مني يا مستر دافورين.

دافورين : ولماذا ينبغي ألا أخاف منك أو من أي شخص آخر؟

تومي : فعلا، لماذا؟ كلنا هنا أصدقاء.. مستر دافورين يعرفني تماما.. ما عليك ألا أن تقول فقط : «هل تعرف تومي اوينز؟» ولسوف يخبرك عمن يكون تومي اوينز. تومي اوينز لا شبهة عليه.. فهمت قصدي؟

ميني : أرجوك يا تومي أن تترك مستر دافورين لحاله، فلديه من المتاعب والمسئوليات ما يكفيه.

اوينز : لن أقول كلمة واحدة – كلمة واحدة – مستر دافورين يفهم قصدي جيدا، رجلا لرجل، «عاشت الجمهورية»، دائما.. أليس كذلك يا مستر دافورين؟

دافورين : لا أعلم شيئا عن الجمهورية، ولا علاقة لي بالسياسة في هذه الأيام، ولا أريد أن يكون لي بها أية علاقة.

تومي : لا داعي لأن نقول شيئا آخر (فكل لبيب بالاشارة يفهم) لا علاقة لك بشيء سواء أكان خيرا أم شرا، ولا تهتم بشيء سواء أكان معها أم ضدها، إني أعرف الموضوع، وميني تعرف الموضوع – هات يدك – (يمسك يد دافورين). إن في تعانق يدين قويتين ما سيبعث الفزع في نفس الطاغية الانجليزي، ذلك السكسوني الجبان الوضيع. تلك هي يد تومي اوينز، يا مستر دافورين، يد رجل، رجل.. مستر شيلدز يعرفني تمام المعرفة.

(ينخرط في أغنية)

عاليا، فوق المشنقة وقف الأبطال الثلاثة، وعلى يدي الطاغية الأثيم لاقوا حتفهم وهم في زهرة العمر، لكنهم

لا قوه وجها لوجه بروح جنسهم العالية، ومضوا إلى مصيرهم المحتوم بنفوس أبية!

ميني : (محاولة كبح حماسه) تومي اوينز أرجوك أن...

تومي : (يتغلب عليها صائحا) حفظ الله ايرلندا، ذلك ما يقوله

حفظ الله ايرلندا، ذلك ما نقوله جميعا، سيان أن نموت على المشانق أم في ساحة القتال. آه، ماذا يحدث لو سقطنا في سبيل ايرلندا الحبيبة؟!

(تغرورق عيناه بالدموع) مستر دافورين، كما أتمنى أن أموت في سبيل ايرلندا!

دافورين : أوري، أوري، يا تومي.

تومي : لم تتح لي الفرصة أبدا - لم يتيحوها لي - ومع هذا فإني على استعداد إذا دعا داعي الجهاد - مستر شيلدز يعرف ذلك - سل مستر شيلدز يا مستر دافوين.

دافورين : لا ضرورة لهذا يا تومي، أعرف أنك الشخص المناسب إذا ما أتيحت لك الفرصة، لكن لتتذكر القول المأثور:«يخدم أيضا من يستعد وينتظر»

تومي : (في وحشية) لقد مللت الانتظار - كلنا مللنا - لماذا لا يخرج كل رجل في ايرلندا مجاهدا مع الـ ج. ج. ا.

هيا بالمتاريس، هيا بالمتاريس، الآن وإلا فلا، الآن وإلى الأبد) كما قال سارسفيلد في معركة فينجارهيل. هيا بالمتاريس - ذلكم هو تومي اوينز - فلس واحد يشتري صفارة. ومن يؤمن بغير هذا يقل غير ما أقول. ماذا تقول يا مستر دافورين؟

دافورين : أقول يا تومي، إنه ينبغي عليك أن تمضي لتناول الغداء، فلو انتظرت أكثر مما انتظرت فلن تظفر بشيء تأكله.

تومي : آه، اللعنة على الغداء، من ذا الذي يفكر في الغداء وايرلندا تخوض معركة الحرية؟ لن يكون تومي اوينز على أي حال. انه الانجليزي فقط ذلك الذي يفكر دائما في بطنه.

ميني : تومي اوينز!

تومي : معذرة يا آنسة باول، في ثورة غضبي، نسيت أن سيدة كانت موجودة.

(تسمع أصوات بالخارج، ثم تدخل على الفور مسز اندرسون، يتبعها مستر جاليكار، الذي يتلكأ عند مدخل الغرفة، خجول إلى درجة لا يستطيع معها التقدم أكثر من ذلك. مسز هندرسون امرأة «غليظة» في كل شيء : رأسها، ذراعاها، جسمها، صوتها، كما

أنها على قدر «غليظ» من الثقة بالنفس. إنها جبل من الطيبة. أثناء المقابلة مع دافورين، تبدو واثقة من نفسها محترمة له. تهيمن على الغرفة كلها إلى درجة يهيأ لنا معها أنها تحتلها بكاملها. ترتدي ملابس من النوع الشعبي، وإن كانت غير أنيقة، عبارة عن ثوب أبيض وشال كبير، أما مستر جاليكار، فعلى النقيض منها، رجل ضعيف البنية، ذو لحية رمادية صغيرة، يعتري صوته شيء من التوتر والعصبية يرتدي حلة زرقاء باهتة تسمح له بأن يحسب على عالم الأحياء. يبدو عليه الارتباك عندما يلتقي بالمستر دافورين. يحمل تحت ذراعه اليسرى قبعة من النوع السميك، في حالة سيئة لا تصلح معها أن توضع فوق رأس. يحمل في يده اليمنى رسالة).

مسز هندرسون : (تدخل الغرفة) ادخل يا مستر جاليكار، فليس لدى مستر دافورين أي مانع، انه الوحيد الذي يستطيع أن يصوب أخطاءك. هيا يا رجل، ولا تكن خجولا إلى هذا الحد.. مستر دافورين واحد منا ومن الداعين إلى حكومة من الشعب وبالشعب وللشعب. سيلقاك على الرحب والسعة كزهور الربيع.. مساء الخير يا مستر دافورين. رعاك الله وملائكته المقدسون من كل سوء.

تومي : (يتودد في إسراف) تفضل يا مستر جاليكار.. لا تسلك سلوك الغرباء، كلنا هنا أصدقاء. أي أمر

خاص تبغي قضاءه، أية نصيحة محددة تطلبها فها هو رجلك هنا

دافورين : (ينسر تلقائيا، وان أحسّ بشيء من الارتباك بسبب اعتقادهم أنه على صلة بالمقاتلين).. إني مشغول جدا، في الوقت الحالي، يا مسز هندرسون، والحقيقة....

مسز هندرسون : اطمئن يا مستر دافورين، فلن نأخذ من وقتك سوى بضع دقائق.. فليس من طبعي كما ليس من طبع المستر جاليكار أن نعكر صفو الآخرين. لقد كنا، أنا وهو شبابا في وقت من الأوقات، وعرفنا ماذا يجول في ضوء القمر الشاحب، ذر اعا كل منا يلف الآخر. ولكن أكون مبالغة ان قلت إنه لا تزال بعد في نفس المستر جاليكار بقية من هذه «اللعبة» لأني أرى في بعض الأحيان ديكا مشاكسا يظفر من عينيه، لكنا لن نباعد بينك وبين ميني إلى وقت طويل. ها هي الرسالة مكتوبة بكاملها. وعليك أن تعرف يا مستر دافورين.. عفوا لم أقدمه لك في حينه، مستر جاليكار الذي يسكن في غرفة الاستقبال رقم ٢٥٥ خلوق وشريف ووديع قد لا تقابل مثله خلال مسيرة يوم كامل.. لقد وقع عليها وصم الذين سيرغمون على فض الرسالة يا مستر جاليكار.

تومي : اقرأ يا مستر جاليكار، وكلنا آذان صاغية، لا تخف، فنحن نعرف السر، أليس كذلك يا مستر دافورين؟

ميني : عجّل يا مستر جاليكار، ولا تعطل مستر دافورين.

مسز هندرسون : أمهليه يا ميني باول. امهليه. يجب أن تعرف يا مستر دافورين - بكل صدق - أن الأسرة التي تسكن الغرفة المجاورة لغرفة المستر جاليكار - بالتحديد - غرفة الاستقبال الخلفية.. صائبة أم مخطئة يا مستر جاليكار؟

مستر جاليكار : صائبة يا مسز هندرسون، صائبة تماما، هي بالفعل هذه الغرفة نفسها.

مسز هندرسون : حسن يا مستر دافورين، فالمقيمون في هذه الغرفة، غرفة الاستقبال الخلفية، ولكي أكون أكثر دقة وتحديدا - السكان - وهي الكلمة الواردة في هذه الرسالة.. صائبة أم مخطئة يا مستر جاليكار؟

مستر جاليكار : صائبة يا مسز هندرسون، دقيقة تماما، هي فعلا هذه الكلمة نفسها.

مسز هندرسون : حسن يا مستر دافورين، فسكان غرفة الاستقبال الخلفية - كما سبق لي أن ذكرت - ليسوا سوى عصابة من المتشردين الذين يجب ألا يسمح لهم

بمخالطة الشرفاء، الطيبين، الخلوقين، المحترمين. وقد حاول المستر جاليكار أن يجادلهم بالتي هي أحسن، ويطلب منهم أن يسلكوا سلوك المهذبين - الأمر الذي اعتبره غير مجد معهم على الإطلاق - على أية حال، وكان ذلك مجرد رأي، ولم يكن شيئا قانونيا.. منذ ذلك الوقت أحالوا حياة المستر جاليكار إلى جحيم. صائبة أم مخطئة يا مستر جاليكار؟

مستر جاليكار : يؤسفني أن أقول انك صائبة يا مسز هندرسون، صائبة تماما. وليس في قولك كلمة واحدة فيها..

مسز هندرسون : حسن، والآن يا مستر جاليكار، وقد رأيتني بأني قد أحطت المستر دافورين علما بكل شيء، بمحل إقامتك، ووقاحة هؤلاء المتشردين، أرجو أن تقرأ الرسالة التي تعد في رأيي - ليس لوجودك بيننا، أو لكونك صديقي - رسالة عظيمة كما لو أن كاتبها عالم من العلماء. هيا اقرأ يا مستر جاليكار، ولا تنس فيها القول الفصل.

(يتأهب مستر جاليكار للقراءة، تنحني ميني إلى الأمام لتصغي لها. يخرج تومي من جيبه نوتة بالية وعقب قلم رصاص، ويتخذ هيئة من هو مقبل على أمر عظيم)

تومي : ثانية واحدة يا مستر جاليكار. اليوم ٢١ أو ٢٢.

مستر جاليكار : ... واحد وعشرين، يا سيدي.

تومي : شكرا، تفضل، يا مستر جاليكار.

مستر جاليكار : (تصدر عنه بضع رجفات تمهيدات للقراءة. يقرأ الرسالة) إلى كل من تعرض عليه هذه الشكاوى أقدم تحياتي السادة : الجيش الجمهوري الايرلندي...

مسز هندرسون : هذا الاستهلال من أجلك يا مستر دافورين.

ميني : من قبيل الاستعراض.

تومي : هذا الكلام يعني الكثير، خذ بالك، أنه صفعة شديدة في وجه الامبراطورية البريطانية.

مسز هندرسون : (متباهية) امض يا مستر جاليكار.

مستر جاليكار : (يقرأ) «أرجو أن ألفت انتباهكم إلى ما أعانيه وتعانيه أسرتي من مضايقات منسوبة إلى سكان غرفة الاستقبال الخلفية بالمنزل رقم ٥٥ الكائن بشارع سانت تريزا بدائرة سانت توماس - مقاطعة مدينة دبلن.

لقد بدأت هذه المضايقات منذ ١٨ شهرا، وبالتحديد في اليوم العاشر من الشهر السادس من سنة ألف وتسعمئة وعشرين».

مسز هندرسون : تلك هي الكلمة التي كانت على بالي بالتحديد، «إنها تسحب الأرض من تحت أقدامهم» إن جاز هذا التعبير.

مستر جاليكار : (يقرأ) «نحن المشتكين المقيمين بالدور الأرضي»، نعتبر أن فتح باب بالساحة واحالة هذه الساحة الى ملعب يعد أمرا غير لائق، ويشكل تحديا صارخا لبقية السكان، اذ ترتب على هذا.. اننا نحن «المشتكين» لم نذق للراحة طعما منذ فتح هذا الباب. ولقد اضطررنا بسبب تلك المضايقات السابق ذكرها إلى رفع دعوى ضدهم منذ فترة من الزمن أمام المحاكم الانجليزية لأنه لم يكن هنالك محاكم جمهورية في هذا الوقت، ولم نتقدم بشيء آخر ضدهم بعد ذلك لأننا - أنا وزوجتي - جيمس ونيفرد جاليكار نفترض بشدة على وجود مثل هذه المحاكم الأجنبية. وقد خلدنا إلى شيء من الراحة لفترة من الزمن، لكن الأمور ما لبثت أن سارت من سيء إلى أسوأ، فالتنابز بالألقاب واللغة التي يتفوهون بها أمر قبيح...».

مسز هندرسون : (ترفع يدها كما لو كانت شرطي مرور يرفع يده ليوقف سيارة كي تمر أخرى) عفوا يا مستر جاليكار، اعتقد أنه ينبغى وضع كلمة «مصدم» بعد كلمة «قبيح»،

ذلك لأن التي يتفوه بها هؤلاء السفلة ذات جانب قبيح بالنسبة للأطفال كما لها جانبها المصدم بالنسبة لزوجتك . صائبة أم مخطئة يا مستر دافورين؟

تومي : (ناقدا) «مصدم» كلمة مناسبة تماما، ولها دلالتها الكبيرة .. و...

مسز هندرسون : (تصدر منها إيماءة استنكار تسكت تومي) دع مستر دافورين يتكلم، فكل ما يقوله مستردافورين تلتزم به جوليا هندرسون.

دافورين : (خائف من أن يقول شيئا آخر) أعتقد أن إضافة الكلمة أمر مفيد للغاية.

مسز هندرسون : إلى هذه الجملة يا مستر جاليكار وضع كلمة مصدم وفقا لما قد ذكر.

(يتوجه جاليكار إلى المنضدة، وبمشقة بالغة يدخل الكلمة في المكان المذكور).

تومي : (لمستر جاليكار وهو عند المنضدة يكتب) «مصدم»!

مستر جاليكار : (قارئا) « .. اللغة التي يتفوهون بها أمر قبيح ومصدم. وكانت زوجتي في معظم الأحوال، تغلق الباب دونهم كي تحول بينهم وبين اقتحام الغرفة عليها. وإني

أناشدكم أن تبادروا بإرسال جيشكم أو شرطتكم ليروا بأنفسهم، وسنزودهم بجميع التفاصل. ان ظروف عملي تحتم علي البقاء خارج البيت طوال النهار حيث أعمل في مستر هينسّي - السروجي في كومبي - وهو الشخص الذي يمكنه تزويدكم بأية معلومات لا تعرفونها عن سمعتي النظيفة إضافة إلى ما سيشهد به الجيران. واسم هذا الساكن المستأجر والمتسبب في كل هذه المتاعب، وفقا لحقائق القضية المذكورة، المبينة أعلاه، والذي سيصبح فيما بعد المدعى عليه.. هو ديور. إن زوج السيدة مسز ديور أو المتهم المذكور، حسبما تكون القضية، يعمل بحارا، وسيعود إلى بيته عما قريب، ونود أن نحيط الجيش الجمهوري الايرلندي علما بأن المتهمة مسز ديور تهددنا قائلة بأنه سوف يقضي علينا عندما يعود. وإني إذ أترك الأمر كله في أيدي رجال الجيش الجمهوري، فإن الشاكي - أي المدعو جيمس جاليكار - المقيم بمنزل رقم ٥٥ شارع سانت تريزا يستطيع أن يقول بأنه قد رفع قضية وجيهة لالبس فيها ولا غموض ضد مسز ديور وكل ورثتها، ذكورا وإناثا، وفق ما هو مذكور في القائمة المكتوبة أعلاه.

«ملحوظة:إذا بعثتم بأية قوات من رجالكم، فنرجو التنبيه عليهم بحمل سلاحهم. أرجو أن أظل الخادم

المطيع والمعجب المخلص برجال الجيش الجمهوري الايرلندي، تحريراً في العاشر من الشهر الخامس لسنة ألف وتسعمائة وعشرين».

جيمس جاليكار

مستر جاليكار : (في سعلة تنم عن تواضع) صم!

مسز هندرسون : هذه الرسالة لك يا مستر دافورين!

تومي : أقوى رسالة أسمعها تقرأ أمامي حتى الآن!

ميني : هل أنت الذي كتبها فعلا يا مستر جاليكار.

مسز هندرسون : إنه «شنفيني» هو الذي كتبها دون عون من أحد، رأيته بعيني هاتين، عندما كنت أنا وميني – حرم مستر جاليكار – جالستين بجانب المدفأة نتجاذب أطراف الحديث.

ميني : ما كنت لأظن بأن في مقدوره أن يفعل.

مسز هندرسون : وتظنين بأن أمثال هذا الرجل قد أزهقت روحه تلك العصابة المتشردة، لكن الأمر الآن قد وضع في أيد أمينة، وبدلا من أن يقضوا عليك يا مستر جاليكار، ستقضي أنت عليهم، اترك الرسالة لمستر دافورين وهيا بنا (يضع الرسالة في يد دافورين).

مسز هندرسون : (تتحرك تجاه الباب) أرجو أن تكون والمستر شيلدز على ما يرام، يا مستر دافورين.

دافورين : الحمد لله، شكرا يا مسز هندرسون، كلانا لا يرعى الآخر إلا لماما، فهو يقضي نهاره خارج المنزل، أما أنا فعادة ما أكون خارجه ليلا.

مسز هندرسون : أخشى ألا يعود عليه ما يبيعه بثروة، فقد يساوم علي بصفة فلوس ثمنا لعدد من الدبابيس وما من مرة حل فيها بناحيتنا إلا واشتريت منه علبة كاملة من دبابيس الشعر تشجيعا له. أتعشم أن يكون لدي الكثير منها لصنع مرتبة هزازة لسرير مزدوج. جميع الشياطين الصغار في الناحية التي نسكن بها، أخذوا في السخرية منه. لقد نهرت أحدهم ذات يوم عندما كان يناديه «بائع الدبابيس المغفل»!

مستر جاليكار : (وقد شرع في أن يفصح برأي) مستر شيلدز يتمتع بمقدرة ذهنية غير عادية، وانه جدير بمنزلة أكثر احتراما.

مسز هندرسون : هذا كلام صحيح يا مستر جاليكار، كما أنه غير صحيح أيضا، ذلك أنه من الحكمة أن تكون مفضلا، ومن الغفلة أن تكون حكيما.

مستر جاليكار : (في تسامح ينم عن استنكار) أوه، يا مسز هندرسون، هذه مفارقة من أقوال البلغاء

مسز هندرسون : لتكن من أقوال الببغاء، أو الشحرور أو أي من هذه الطيور، كالقبرة مثلا، لكن ذلك ما تظنه جوليا هندرسون على أية حال... اش...اش... اسمع.. انصت... صحافة .. نشرة إضافية!

(يسمع في الخارج صوت بائع الجرائد ينادي «نشرة إضافية»، «آخر خبر»)

مسز هندرسون : اسرع ياتومي، واشتر لنا واحدة لكي نكون على بينة بما حدث.

تومي : ليس معي فلس واحد.

مسز هندرسون : عهدي بك مفلسا، وستظل على ما أنت عليه من إفلاس مادمت سائرا على هواك : تشرب، تثرثر، تسهر الليالي (تنادي على شخص بالخارج) أهذه نشرة إضافية يا مسز جريجسون؟

صوت بالخارج : نعم، كمين قرب نوكسيدان.

مسز هندرسون : ذلك ما ينبغي أن يلقنوه من دروس (بصوت عال) هل أصيب أحد؟

صوت بالخارج : قتل رجل مسكين – شاب – يدعى ماجير، كما تقول الجريدة.

دافورين : (مذعورا) تقول ما اسمه؟

ميني : ماجير، هل تعرفه يا مستر دافورين؟

دافورين : نعم، كلا، كلا، لا أعرفه، أنا لا أعرفه يا ميني.

ميني : ترى، هل هو ماجير الذي كان موجودا عند مستر شيلدز؟

دافورين : آه، كلا، كلا، لا يمكن أن يكون هو أبدا!

مسز هندرسون : نوكسيدان؟ هل هي هذه البلدة التابعة لمقاطعة سليجو، أم أني مخطئة خطأ كبيرا، أصائبة أنا، يا مستر جاليكار، أم مخطئة؟

مستر جاليكار : (الذي يعرف تماما أنها تابعة لمقاطعة دبلن، لكنه لا يجرؤ على تصويب مسز هندرسون): إنها فعلا هناك – نوكسيدان – فعلا هي نفس المقاطعة.

مسز هندرسون : حسن، أظن أنه من الأفضل لنا أن نتحرك، يا مستر جاليكار، فلقد أخذنا من وقت مستر دافورين الكثير، وستجد أن الرسالة قد وقعت في يد أمينة.

(يتحرك مستر جاليكار ومسز هندرسون ناحية الباب، وما أن يقترب مستر جاليكار من الباب حتى يتوقف، ثم يتردد ويغلق أزرار سترته، ثم يلتفت إلى دافورين).

مستر جاليكار : سيدي، مستر دافورين، بالأصالة عن نفسي، والنيابة عن ونيفرد، حرم مستر جاليكار، زوجة المدعو جيمس جاليكار.. اسمحوا لي أن أقدم لكم، وأرفع لكم، وأزجي إليكم أخلص آيات الشكر القلبية على صنعكم الكريم الذي هو توسطكم في الموضوع المذكور، المحدد، المطروح في الرسالة أو القائمة المرفقة، حسبما تكون عليه الحال. واسمحوا لي أن أقول لكم بالنيابة عن شخصي، وعن ونيفرد جاليكار، بأنكم ستكونون محل ترحيبنا مئات آلاف المرات، لو طاب لكم أن تزورونا في أي وقت.

مسز هندرسون : (التي تتيه فخرا بعبقرية صديقها) ها هو ذا رجلك، يا مستر دافورين، لقد فاتك يا مستر جاليكار، أن تذكر له بيدي وشون (إلى دافورين ولدي مستر جاليكار، لقد دربهما بنفسه تدريبا جيدا. صدرك سينشرح ويخفق كساعة الحائط وأنت تسمعهم ينشدون: «إيمان آبائنا» و«لفوتي بالعلم الأخضر».

مستر جاليكار : (نصف معتذر ونصف فخور):«الإيمان ووطن (الآباء)، يامسز هندرسون»، الايمان ووطن (الآباء).

مسز هندرسون : حسن، طاب يومك يا مستر دافورين، حفظك الله، وشد من عزم الذين يقاتلون في سبيل حرية ايرلندا (تخرج هي والمستر جاليكار).

تومي : ينبغي أن أتحرك أنا الآخر. إلى اللقاء يامستر دافورين. وتذكر دائما بأن تومي فقط ينتظر النداء.

(يخرج هو أيضا)

دافورين : حسن يا ميني، وها نحن الآن على انفراد مرة أخرى.

ميني : ألم تتقزز من هذا التومي اوينز ؟ فقط ينتظر أن يسمع النداء! آه، إذن، فلتعبأ كل الفرق النحاسية في البلاد كي تعلن نداء الجهاد قبل أن تسمعها آذان تومي اوينز، (تنظر في ساعة معصمها) أيها القلب المقدس، ليس أمامي سوى عشر دقائق لأعود إلى العمل. لابد أن أطير أسرع يامستر دافورين، وأكتب اسمي طباعة قبل أن أذهب.. «ميني» فقط.

(يطبع دافورين الاسم)

ميني : (في خجل لكن بتصميم) والآن اكتب اسمك تحته مباشرة.. دونال فقط. (يفعل دافورين) ميني، دونال، دونال، ميني، والآن مع السلامة.

دافورين : عندك. وماذا عن حليبك؟

ميني : لا وقت عندي لأخذه الآن. (متخابثة) سأحضر من أجله هذا المساء.

(كلاهما يتوجه ناحية الباب)

دافورين : ميني، القبلة لم آخذها.

ميني : أية قبلة؟

دافورين : عندما فاجؤونا، تعرفين كل شيء أيتها الوغدة الصغيرة، هيا، واحدة فقط.

ميني : إذن بسرعة.

(يقبلها دافورين، تجري خارجة، يعود دافورين إلى المنضدة وهو غارق في التفكير).

دافورين : ميني، دونال، دونال، ميني. في منتهى الجمال، لكنها في منتهى الجهل. مقاتل متخف! احتط لنفسك، احتط لنفسك يادونال دافورين. لكن ميني انجذبت إلى الفكرة، وأنا انجذبت إلى ميني. إذن، فما يضيرني في أن أكون ظلا لمقاتل؟

ستـــار

الفصل الثاني

(نفس المنظر كما في الفصل الأول، لكن الوقت ليل سيوماس يرقد في السرير المحاذي للحائط الخلفي دافورين يجلس لدى المنضدة بعد أن سحبها على مقربة من المدفأة. يحمل في يده قلما، يتطلع إلى القمر الذي يفترش ضوؤه الغرفة عبر النافذتين كراسة مذكرات مفتوحة على المنضدة بالقرب من مرفقه. الحقيبة التي تركها ماجير لاتزال في نفس المكان الذي تركها فيه)

دافورين : القمر المتبرد الطاهر، مليك جزر السماء اللامعة،

يجمل كل ماتنطبع ابتساماته عليه،

ذلك الضريح المتجول ذو اللهب الناعم الجليدي،

دائم التحول وإن بقي على حاله.

آه، شيللي، شيللي، أنت نفسك كنت مدارا بشريا حلوا، يشرق عبر غيوم الغبار البشري. «يجمّل كل مايطبع ابتساماته عليه» آه ياشيللي، لكن وأنى له أن يجمل هذه الغرفة اللعينة، أشعته الجميلة لن تخلع على مساوئها إلا مزيدا من المساوىء. هنالك من القبح ما يمكن تجميله، ومن القبح مالايجدي معه غير التدمير، وغرفتنا جزء من هذا القبح. دونال، دونال، أخشى أن يكون منتهاك أسوأ من مبتداك.

(يردد بعض الأشعار التي كتبها في الكراسة المفتوحة أمامه على المنضدة).

عندما يزحف الليل عبر السماء بخطى وئيدة رزينة،

يتطلع القمر بطلعته الملكية على العالم من تحته،

كأني به يقرأ روح الإنسان، ويردد في صمت هازىء كل الأشياء جميلها وسعيدها، ميت

سيوماس : (في نعاس) دونال، دونال، هل أنت صاح؟ (بعد برهة) دونال، دونال، هل أنت نائم؟

دافورين : لا صاح، ولا نائم، إنما أفكّر

سيوماس : وأنا أيضا كنت أفكر، أفكر في أن ماجير يندم الآن على أنه لم يذهب معي بدلا من ذهابه إلى نوكسيدان. لقد اصطاد شيئاً آخر فضلا عن الفراشات - أصابته اثنتان - واحدة في كل رئة.

دافورين : الايرلنديون جد مغرمين بقلب أي أمر جاد إلى نكتة، وكان ذلك أمرا جلدا بالنسبة لماجير المسكين.

سيوماس : (في موقف دفاعي) لما لم يقم بعمل ما ليعد نفسه؟ هل فكر فيّ عندما كان متوجها إلى نوكسيدان؟ كيف ينتظر مني أن أكون الآن متعاطفا معه؟

دافورين : لا يستطيع الآن انتظار شيء من هذا القبيل، لأنه ميت.

سيوماس : سيفعل الجمهوريون الكثير من أجله. وكيف استرد ماكان لي عنده من أشياء؟ بعضها في هذه الحقيبة الملقية هناك، لكن مافيها لايعدو ربع ما أخـــذ مني، ولا علم لي بمحل إقامته، فقد ترك سكنه القديم منذ أسبوع أو قرابة الأسبوع، لا اعتقد بأن هنالك مايمكن أن يقال عن خسارتي، فلأصمت I am to sing dumb

دافورين : أرجو ألا يكون بها شيء آخر إضافة إلى الخيوط ودبابيس الشعر.

سيوماس : وماذا قد يكون بها؟... لم أنم كما يجب منذ أن فرض هذا الحظر اللعين على التجول. فمنذ دقيقة هيىء لي أني سمعت بعضهم يقف بالباب. لن يهنأ بالهم مالم يشنوا غارة على البيت. ولن يبرحوا إلا بعدما تنقضي ساعات الخطر... ألن تأوى إلى فراشك يادونال؟.

دافورين : كلا، أحاول إنهاء هذه القصيدة.

سيوماس : (ينهض ويجلس في السرير) لو كنت مكانك لأقلعت عن هذه اللعبة، فما من فائدة ترجى من كتابة الشعر بالنســبـة لرجل عـامل. وعلى الرغم من أنى لا أدعي

معرفـة الشيء الكثيـر عن الشعـر – عن الشعر – لا أدعي بأني أعلم الشيء الكثير عن الومضة اللؤلئية لندى الصباح، والعذوبة الدمقسية الحريرية لوردة برية نادرة، والخضرة المخاتلة لعين الأفعى، على الرغم من عدم ادعائي معرفة الكثير عن كل هذا، فإني اعتقد أن سبيل الشاعر إلى العظمة متوقف على مقدرته في بث العاطفة في نفوس عامة الناس.

دافورين : أي عاطفة تولول على تحطيمه؟ الناس ألا لعنة الله على الناس. إنهم يعيشون في الحضيض، والشاعر يتسنّم قمم الجبال ليس للون سر عند الناس، فهو بالنسبة لهم مجرد معطف قرمزي يرتديه جندي، عباءة قسيس أرجوانية، راية حزب خضراء، افرول عامل بني أو أزرق، وعظمة التصميم الفني لا تعدو بالنسبة لهم سوى بيت من ثلاث غرف أو سرير فسيح، الجمال بالنسبة لهم شيء معروض للبيع في محل دكان القصاب، نهاية الحياة عند الناس هي تلك الحياة التي خلقوا عليها، أما نهاية الحياة عند الشاعر، فهي تلك النهاية التي خلقها لنفسه – الحياة ذات قبضة عنيفة تقبض على رقاب الناس – إنها الموسيقي التي تعزف للشاعر.. الشاعر يسعى، دوما، لخلاص الناس، وهم يسعون – دوما – إلى تحطيمه. الناس يبصرون الحياة

من خلال العقائد، والتقاليد والعادات، من خلال الضروريات، لكن الشاعر يبصر العقائد والتقاليد والعادات والضروريات من خلال الحياة. الناس.

سيوماس : (فجأة، تعتري صوته مسحة من الجزع) ايش . ماهذا؟ هاهو النقر مرة أخرى!

دافورين : نقر؟ أي نقر؟

سيوماس : (في همس ينبىء عن خوف) تلك هي الليلة الثانية التي أسمع فيها هذا النقر. أظن أنه يحمل لي فألا غير حميد. هاهو، هل تسمعه مرة ثانية.. نقر على الحائط، هادىء، رتيب، مريب، تلفه الأسرار

دافورين : إني لا أسمع نقرا.

سيوماس : من الأفضل لي أن تكون قد سمعته. فمن المؤكد أنه نذير أكيد على الموت عندما لا يسمعه أحد غيري.

دافورين : موت! ماهذا الهراء؟

سيوماس : إني لا أحبه إطلاقا، فدائما ما يسمع شيء شبيه به عندما يموت واحد من أفراد عائلتنا.

دافورين : أنا لا أعلم شيئا عن هذا، لكني أعلم أن هناك أصواتا جهنمية تدوي في الأسماع عندما يعيش واحد من عائلتك.

سيوماس : حفظنا الله من كل سوء! شكرا لك يارب على أني في المكان الذي ينبغي أن أكون فيه (الفراش).. ان أفضل حـال يكون عليـهـا الإنسـان هي أن يكون في المكان المناسب عند حـدوث مـثل هذه الأمـور. أيهـا القلب المقدس.. هاهو مرة أخرى.

دافورين : أوه، ألا تسمعه الآن؟ أستحلفك بالله أن تنام.

سيوماس : ألا تؤمن بشيء؟

دافورين : لا أؤمن بالنقر.

سيوماس : اسمع.. توقف مرة أخرى، سأعالج النوم خوفا من أن يبدأ مرة أخرى.

دافورين : حسن، إذن فلتفعل، ولو بدأ مرة أخرى، فمن المؤكد بأني سأوقظك.

(فترة صمت)

سيوماس : الجو بارد هذه الليلة. ألا تشعر بالبرد؟

دافورين : حسبت أنك ستنام؟

سيوماس : البرد اللعين لا يدعني... أنت في حاجة إلى بيجامة تضعها على جسمك (صمت) ألم ترتد البيجامة أبدا يادونال؟

دافورين : كلا، كلا، كلا.

سيوماس : مم تصنع ياترى؟

دافورين : (حانقا) آه، ذلك يتوقف على المناخ : في الهند من الحرير، في إيطاليا من الساتان، وعند الاسكيمو تصنع من جلد الدب القطبي.

سيوماس : (مؤكدا) لو عملت بنصيحتي، لآويت إلى فراشك، فلقد بدأت هذه القصيدة تثير أعصابك.

دافورين : (يطفىء الشمعة بنفخة مليئة بالغيظ) حاضر، سآوى الآن إلى الفراش، تستطيع إذن أن تتكتم.

(لا تزال إمكانية الرؤية مؤكدة من خلال ضوء القمر).

سيوماس : كنت على وشك أن أقول لك شيئا وأنت تطفىء الشمعة. أي شيء ياترى! أم م، أم م، آ آه، آ آه، عندما كنت عائدا هذا المساء، شاهدت ميني باول تخرج من هنا. ولو كنت مكانك، ماسمحت لهذه البنت بالدخول.

دافورين : هي التي دخلت، وأنا لم آت بها إلى هنا، أليس كذلك؟

سيوماس : سيتقول الجيران، وما أن يبدأوا في التقول، فلن تدري كيف ينتهي.. من المؤكد أنه لا يليق بإنسان يقرأ شعر شيللي أن يهتم بكلبة صغيرة جاهلة مثلها لاهم لها سوى رقصات الجاز والفوكستروت والصور والمسارح والملابس.

دافورين : فعلا، إنها تهتم بملابسها، تعتني بملابسها على النحو الصحيح، وتجعل من نفسها صورة تسر الناظرين. لقد أفسدت التربية الكثيرين، فلم تعلمهم سوى الكلام وحسب، لكنها تركت معهم كل غرائزهم البدائية. ولو قدر لميني المسكينة قسط من التعليم لغدت فنانة مرموقة. من المؤكد أنها فتاة مهذبة. وإني واثق من أنها إنسانة طيبة، واعتقد أنها فتاة شجاعة.

سيوماس : هيلين طروادة تأتي كي تعيش في منزل شعبي، أنت تهتم بها لأنها ببساطة تهتم بك، وهي تهتم بك لأنها ترى فيك بطلا على شاكلة باريس.. وتود لو تضحي بالعالم وبكل ماتملك في سبيل أن تتسكع مع مقاتل. ويالها من سعادة مابعدها سعادة تلك التي ستكتنفها لو قتلت أو شنقت بعد حين، يومئذ ستصول وتجول، ككثيرات غيرها. مغنية «لن أبكي فقدان حبيبي، فلقد سقط شهيدا في معطفه الأخضر».

وبعد عام ويوم، ستزين قبعتها بشريط زاهي الألوان، إلى أن تصطاد شخصاً آخر وتتزوجه.. من يدري ربما يكون أحد الجنود الانجليز من ذوي المونزستار. أما عن كونها شجاعة، فمن السهل على أي إنسان أن يكون كذلك عندما لا يكون ثم مبرر للجبن، إني لا أعبأ بما إذا كانت حياتي تتوقف على ميني باول الصغيرة الشجاعة.. فهي لن تضحي برقصة جاز في سبيل إنقاذها.

دافورين : (يجلس في سريره ويخلع معطفه استعدادا للنوم) كفى، يكفي هذا عن ميني باول. أخشى أن اضطر للهرب من هذا البيت، فلقد اتضح لي بأنه لا مكان للراحة والهدوء فيه.

سيوماس : هذا البيت لاعيب فيه، ولولا وجود الأطفال لكان أهدأ كثيرا. ألم يكن بآخر سكن أقمت به أطفال أيضا؟

دافورين : نعم، عشرة (في غيظ) وكانوا جميعا فوق الأربعين

(لحظة توقف تدوم ريثما ينتهي دافورين من خلع ياقته ورباط عنقه)

سيوماس : كم الساعة الآن؟ ياترى، كم الساعة؟

دافورين : «لقد أدى ديك القرية التحية ثلاث مرات لمقدم الصباح».

سيوماس : شكسبير، ريتشارد الثالث، الفصل الخامس، المشهد الثالث.. أتى هذا البيت على لسان راتكليف مخاطبا ريتشارد قبيل معركة بوزورت.. كم تبدو السماء وادعة آمنة في هذه الساعة وقد توسطها القمر، لن تفكر إطلاقا في أن هنالك من كانوا يتجسسون ويطلق بعضهم النيران على بعض. لست أدري كيف يتأتى لرجل يقتل إنسانا أن ينام الليل هانيء البال.

دافورين : هنالك الكثيرون ممن لا يستطيعون أن يناموا الليل مالم يتأكدوا من أنهم قتلوا إنسانا

سيوماس : اسأل الله أن ينتهي كل شيء، فقد أصاب البلد شيء من الجنون. فبدلا من «عد حبات المسابح» يعدون الآن حبات الرصاص، وتحولت «بوركت يامريم» و«أبانا الذي» إلى قنابل متفجرة وقصف مدافع رشاشة، وأصبح البنزين ماءهم المقدس، وقداسهم أضحى منزلا تأكله النيران، وتحولت أغنية «من الأعماق» في أصواتهم إلى «أغنية الجنود»، وأصبحت عقيدتهم «إني أؤمن بالبندقية الجبارة» صانعة السموات والأرض، وكل هذا في سبيل «المجد لله ولايرلندا العزة والكرامة».

دافورين : إني أذكر يوم أن كنت أنت نفسك لا تؤمن بشيء سوى البندقية.

سيوماس : أي نعم، عندما لم يكن بالبلد بندقية واحدة. أما الآن فلي رأي مختلف حيث لاشيء سوى البنادق.... كما أنك لا تجرؤ على أن تفتح فمك، لأن كاثلين في هوليهان أضحت الآن امرأة تختلف عن ذي قبل، فهي لم تعد الآن تلك المرأة التي اعتادت الضرب على القيثارة مغنية «ابك، ابك، فقد ولت ساعتك»، إنها الآن ياعزيزي شيطان متمرد، ولو أنك نظرت إليها شزرا لأصابتك

باعتوار في عينيك، نعم، هكذا انظر إليها، هكذا انظر إلى ايرلندا.. إنك لن تهزم الإمبراطورية البريطانية - لن تهزم الإمبراطورية البريطانية - لمجرد أن تقتل أي جندي وقعت عليه عيناك صدفة في زاوية بشارع ماوجدت فيه أيضا بحكم الصدفة ، على حين أن الجنود عندما يهتاجون يرشون الرصاص على غير هدى ولا تأخذنهم رحمة في من يقتلون.

دافورين : (ساخرا من قوله) ربما يتعين عليهم أن ينزلوا من اللوري، ويهرعون به إلى أقرب مكتب للسجل المدني للتعرف على حسبه ونسبه قبل أن يقتلوه

سيوماس : الخاسرون دائما هم الدينون، هم الذين يتعذبون. فعند انفجار لغم بكمين لا يعلمون إلى أين يفرون. طلقة في الظهر لإنقاذ الامبراطورية البريطانية، وطلقة في الصدر لإنقاذ روح ايرلندا. أنا نفسي من القوميين، بمعنى الكلمة - قومي بمعنى الكلمة - ومع هذا إني أؤمن بحرية ايرلندا، وان هذه التي تسمى بانجلترا لا حق لها في البقاء في بلدنا، لكني أتراجع عندما أسمع هؤلاء المسلمين يدعون بأنهم انما يموتون من أجل الشعب، في حين أن الشعب، الناس هم الذين يموتون بسبب المسلمين! ومع احترامي للمسلمين، فإني لا أريد لهم أن يموتوا من أجلي.

دافورين : غير محتمل، انك تعترض على أن يموت أي منهم عن طيب خاطر من أجلك، خشية أن تموت بالصدفة من أجل واحد منهم يوماً من الأيام.

سيوماس : أنت واحد من أولئك الرفاق الشجعان الذين لا يخشون الموت.

دافورين : ولم أخشاه؟ إني لا أبالي به وقتما يأتي، وأينما يأتي، وعلى أي صورة يأتي. إني أترك الخشية من الموت للذين يدعون ربهم أن يمن عليهم بالخلود. «الموت هنا، الموت هناك، الموت حال في كل مكان».

سيوماس : أي نعم، حال في ايرلندا. شكرا لله على أنى أداوم يوميا على «تناول العشاء الرباني». في الدين راحة كبرى، فهو يشد من أزر الإنسان وقت الشدة، ويبعث الشجاعة في قلبه وقت الخطر. لا مكان للخوف في قلب رجل تحوطه الملائكة برعايتها، شكرا لك يارب.. منحتني دينك القيم.

دافورين : هنيئا لك بملائكتك، أما أنا فالفلسفة ديني، إنها تحيل الجبان شجاعا والمعذب صامدا، والضعيف قويا، والـ....

(يسمع وابل من الطلقات في حارة محاذية لحائط الفناء الخلفي. تبخرت الفلسفة وتبخر الدين في غمرة ما انتابهما من ذعر).

سيوماس : يسوع، ماري، يوسف الصديق، ماذا جرى؟

دافورين : يا إلهي! إنه قريب جدا.

سيوماس : أما من بقية للمسيحية في هذا البلد؟

دافورين : ألن نعرف مرة أخرى معنى للسلام والأمان؟

سيوماس : لو طال بنا هذا الحال أكثر من ذلك، فلن أصبح سوى بطارية من الصدمات.

دافورين : لا مفر. الخطر بنا محيق، سواء أكنا داخل البيت أم خارجه.

سيوماس : وجودنا في هذا المكان شيء خطير بسبب هاتين النافذتين، فلن تمضي دقيقة حتى تخرق إحداهما رصاصة وتصيب الـ....

دافورين : (مذعورا) تصيب ماذا يارجل؟

سيوماس : الحائط.

دافورين : أما كان بوسعك أن تقولها مباشرة دون أن تجعل منها أغنية؟

سيوماس : (فجأة) لا أظن أن بالاسطبل خيولا.

دافورين : اسطبل! عن أي اسطبل تتحدث؟

سيوماس : يوجد خلف هذا البيت اسطبل، يوصل إليه مدخل يبدأ من عند الفناء، ويستخدم ورشة للنجارة ألم تسمع من وقت لآخر تلك الضوضاء القريبة؟ هذا يعني أن الخيول تهز سلاسلها، قيودها.

دافورين : وما السر؟

سيوماس : أوه، هذا متروك لذكائك!

دافورين : من المؤكد أنك لا تعني.

سيوماس : بل من المؤكد أعني..

دافورين : من المؤكد تعني ماذا؟

سيوماس : إني لا استبعد - لا استبعد - لا استبعد.

دافورين : نعم، نعم، هيا . تستبعد ماذا ؟ هيا

سيوماس : أن يكون مصنعا للقنابل

دافورين : يا إلهي، توقع سعيد! كلما أسرعت بالهرب من هذا البيت، كان ذلك أفضل، وكيف تأتى لك ألا تخبرني بشيء عن هذا من قبل؟

سيوماس : حسن، حسن، لم أكن أريد أن.. لم أكن أريد أن . أن..

دافورين : تريد ماذا؟

سيوماس : لم أكن أريد أن أخيفك.

دافورين : (متهمكا) رقيق جدا!

(طرق بالباب، يسمع صوت مسز جريجسون)

مسز جريجسون : هل أنت نائم يامستر شيلدز؟

سيوماس : ماذا عساها تريد في هذه الساعة من الليل (لمسز جريجسون) كلا، يامسز جريجسون، ماذا هنالك؟

مسز جريجسون : (تفتح الباب، وتقف بعتبته امرأة في حوالي الأربعين وان بدت أكبر من سنها بكثير، واحدة من سكان كهوف دبلن تسكن في مطبخ منزل شعبي، لا يصل إليه سوى بصيص عارض كليل من أشعة الشمس، عبر كوة مفتوحة عليه من الفناء. ولذا فالمطبخ يلفه اعتام شامل، الأمر الذي اكسبها عادة التبحلق من عينين نصف مغلقتين ترتدي ثوبا زريا من قطعتين، متسخة الوجه، ومرجع هذا لا إلى أنها لم تعتد النظافة، فهي وإن بدت غير مهندمة، امرأة نظيفة، بل إلى جو المطبخ المفعم بالدخان، شعرها متدل بصفة دائمة على وجهها، ولذا ترفعه من وقت لآخر بحركة سريعة من يدها اليمنى) لم يعد بعد وقد تصلب بدني من البرد، منتظرة إياه.

سيوماس : من ؟ أهو مستر جريجسون؟

مسز جريجسون : ادولفوس، يامسر شيلدز، فبعد أن تناول الشاي في الساعة السادسة.. كلا، لم تكن السادسة، كان ذلك قبل السادسة، كأني اذكر بأن ناقوس قداس التبشير كان يدق ونحن لدى المائدة. بعد أن تناول الشاي خرج ليتنسم شيئاً من الهواء الطلق، ومنذ ذلك الوقت لم ألمح له طيفا. أشهد الله بأني أتوجس خيفة من أن يكون «ذوو الأردية السوداء والأردية البنية» قد أطلقوا عليه النار.

سيوماس : أو، لعله بخير يامسز جريجسون، ينبغي أن تأوي إلى الفراش وتريحين نفسك، فدائما ماتراود الإنسان أفكار السوء، امض إلى فراشك يامسز جريجسون والا قتلك البرد.

مسز جريجسون : إني أخاف أن آوي إلى الفراش يامستر شيلدز، لأني دائمة الخوف من أن يأتي ذات ليلة ثملا، ويسقط على درج المطبخ ويدق عنقه. علما بأن حالي لن تسوء لو حدث له شيء، فأنت تعرف أسلوب حياته يامستر شيلدز، أؤكد لك بأنه قد حطم قلبي.

مستر شيلدز : تماسكي يامسز جريجسون، قد يثوب إلى رشده يوما من الأيام، ويقلب صفحة جديدة.

مسز جريجسون : لن يقلب غير صفحة الندم، لقد فات الأوان، ثق بأنه ما من أحد يمانع في أن يشرب قدحا أو قدحين لو أنه توقف عند هذا الحد، ولكنه لا يتوقف عند حد معين،

فلاشيء يروي غلته من البيرة، مهما شرب، ودائما مايقول بعد أن يكون قد شرب الكثير «هاهي أول جرعة في هذا اليوم».

دافورين : (لسيوماس) ياإلهي، ألن تنتهي هذه المرأة من الغلام في هذه الليلة؟

سيوماس : امش، ستسمعك، الحقيقة أن الرجل قد حطم قلب هذه المسكينة.

دافورين : ولأنه قد حطم قلبها، فذلك يمنحها امتيازا بتحطيم الآخرين.

مسز جريجسون : مستر شيلدز.

سيوماس : نعم.

مسز جريجسون : هل تدفع شركات التأمين تعويضا لمن يقتل خلال ساعات الخطر؟

شيلدز : حسن، ذلك ما لا استطيع الافتاء فيه الآن يامسز جريجسون.

مسز جريجسون : (في تأثر عميق) ألا يعد إنسانا فظيعا ذلك الذي يخوض مثل هذه المخاطر، ولا يعرف ما سيحيق به. إنه يعرف بأن هذه الشركات تلتمس الأعذار لتسلب الناس أموالهم. هل ناهزت الساعة الواحدة الآن يامستر شيلدز.

شيلدز : أوه، لابد أنها ناهزت الواحدة، يامسز جريجسون

مسز جريجسون : (مؤكدة) آه، لو قدر لي أن أعود شابة مرة أخرى، لفكرت مرتين قبل أن أتزوج، امش، انصت اسمع وقع أقدام – إنه هو – أعرفه من طريقة تلمسه الطريق

(تخرج مبتعدة قليلا، يسمع وقع خطوات متعثرة بالصالة)

مسز جريجسون : (من الخارج) هل وصلت، يادولفي، ياحبيبي؟

(بعد عدة لحظات، يظهر أدولفوس يترنح إلى داخل الغرفة ومسز جريجسون ممسكة بذراعه)

مسز جريجسون : دولفي ياحبيبي، أفق لنفسك

أدولفوس جريجسون : (رجل في الخامسة والأربعين، ولكنه يبدو، نسبيا، أصغر سنا من مسز جريجسون بكثير يعمل كاتبا لدى أحد المحامين. مظهره العام يوحي بأنه جيد التغذية، والحقيقة، أنه يأتي على كل ماتقع عليه يداه من غذاء في حين أن مسز جريجسون لا تأكل إلا بقدر ما يمنحها القوة على القيام بواجبات البيت الضرورية ونظرا لأنه يقضي معظم وقته خارج المطبخ، يبدو منتعشا، وحركته – حتى وهو غير مخمور – على حيوية أكثر. يرتدي ملابس مريحة: معطف ثقيل، قبعة من القش، شالا زاهي اللون يلفه حول رقبته، ويحمل في يده مظلة). أنا بخير، هل ترون بي سوءا؟

مسز جريجسون : طبعا، أنت بخير ياحبيبي، وليس هناك من يؤاخذك؟

أدولفوس : يؤاخـذني، أهكذا، يؤاخـذني أنا، أنا؟ لعله يريد أن يكون شـيئـا عظيـما ذلك الذي يؤاخـذني، يوجـد هنا رجل. رجل، أتفـهمون؟ لا يخاف أحدا في هذا البيت اللعين على أية حال.

مسز جريجسون : (متوسلة) هيا انزل يادولفي، ياحبيبي، هيّا.. تأكد أنه لا يمكن لأحد أن يوجه لك كلمة واحدة في هذا البيت

أدولفوس : يوجه كلمة، أهكذا؟ يوجه إلي كلمة؟ لعله يريد أن يكون شيئا هاما ذلك الذي يوجه إلي كلمة أيوجد ذلك الذي يقوى على أن يوجه كلمة إلى أدولفوس جـريجسـون؟، (بصـوت عال) إذا وجـد، فـها أنذا - رجـــل، أيضـا، ولا راد لذلك أبدا - رجل من ظهر رجل

مسز جريجسون : ستوقظ جميع من بالبيت، ألا تستطيع أن تتكلم بهدوء.

أدولفوس : (بصـوت لا يزال أكثر ارتفـاعا) وماذا يعنيني من أي أحـد في هذا البـيت؟ هل يعـولني أحـد؟ هل يمنحـني أحدهم شيئا؟ عندما يعولون جريجسون، يحق لهم أن يوجهوا إليه من الكلام ماشاء لهم (صائحا) يمكنني أن أقول لهم ان أدولفوس جريجسون لم يولد في زجاجة!

مسز جريجسون : (دامعـة العينين) لم تتكلم هكذا ياحـبيبي؟ كلنا يعرف أنك لم تولد في زجاجة.

جريجسون : بعض من في هذا البيت يظن أن جريجسون قد ولد في زجاجة

دافورين : (لسيوماس) أنسب مكان يولد فيه.

مسز جريجسون : هيا انزل، لتخلد إلى فراشك الآن، هيا، بوسعك أن تتكلم عنهم في الصباح.

جريجسون : بل سأتكلم الآن. أتظنين أني خائف منهم؟ أدولفوس جريجسون لا يخاف كائنا من كان، زاحفا أو ماشيا، وان كان في هذا البيت من يتوهم بأنه كفء لأن ينال من أدولفوس جريجسون، فها أنذا.. رجل، سيجدون أن جريجسون ليس شيئا رخوا، سهل المنال.

دافورين : أواه لي، واحسرتا، ألم.. ألم مقيم، ألم أبدي.

مسز جريجسون : دولفي، ياحبيبي، مستر دافورين المسكين يريد أن يخلد إلى النوم.

جريجسون : (يترنح في مشيته متوجها إلى دافورين مادا يده) دافورين. إنه رجل، حاشاك أيها الرفيق. ينبغي ألا تخاف من أدولفوس جريجسون، فلاتوجد في عائلة جريجسون بكاملها نقطة دم واحدة من المبلغين. إني لا أعرف فيم تعمل وفيم تفكر، لكني أعرف أنك رجل، ولست واحدا من الأوباش الذين يسكنون في هذا البيت، الذين يتمنون أن يسوقوك إلى المشنقة. إني لا أعينك يامستر شيلدز.

مسز جريجسون : أوه، انك لا تلمز إلى المستر شيلدز.

سيوماس : أعرف قصدك، يامستر جريجسون، هيا الآن، انزل مع مسز جريجسون، واخلد إلى النوم.

جريجسون : لست ممن يجعل من نفسه تابعا لامرأة، يامستر شيلدز، فأنا أعرف كيف الزم مسز جريجسون موضعها، وفي الإنجيل مايخولني هذه السلطة. إني أعرف كل مافي الإنجيل من الغلاف للغلاف، يامستر دافورين أكثر مما قد يعرف بعض من في هذا البيت، وماذا يقول الكتاب المقدس عن المرأة؟، يقول: «لتكن المرأة خاضعة لزوجها»، واعتقد بأن المسز جريجسون تعمل بتعاليم الكتاب المقدس قلبا وقالبا. إذ ألمت بك ملمة يوما من الأيام يامستر دافورين، فبإمكان جريجسون أن يأخذ بيدك – أنا رجلك – هل تفهمني؟

دافورين : أفهمك، يامستر جريجسون، أفهمك.

جريجسون : وهو كذلك، أنا أورانجي، ولا أخجل أبدا من مذهبي، ولا أخاف من التصريح به، لكني مع هذا أتعاطف مع الرجل الصادق، أتفهمني يامستر شيلدز.

سيوماس : نعم، نحن نعرفك جيدا يامستر جريجسون، فكثير من رجال ايرلندا الصادقين كانوا بروتستانت من أمثال: تون وايميت وبارنل...

مسز جريجسون : لعلمك، أنا لا أقول بأني أتفق مع مواقف من ذكرتهم، يامستر شيلدن، لأن الانجيل لا يقرها، وأدولفوس جريجسون يتمسك دائما بالانجيل: «خافوا الله، وعظموا الملك»، ذلك مكتوب في الكتاب المقدس، ولاراد لذلك أبدا، (يخرج زجاجة من جيبه) تفضل يامستر دافورين، هل لك في جرعة، كي لا ترتعش من البرد.

دافورين : كلا، كلا، يامستر جريجسون، الوقت متأخر بمالا يسمح بتناول أي شيء، ويحسن لك أن تمضي مع مسز جريجسون، وسيكون لنا في الصباح حديث آخر.

جريجسون : أواثق أنت من أنك لن تأخذ جرعة؟

دافورين : واثق تماما، وشكرا لك على أية حال.

جريجسون : (يشرب) وهاهي أول جرعة في هذا اليوم. في صحة كل الرجال الصادقين، حتى لو كانوا ولدوا في زجاجة. وتلك في صحة الملك ويليام، في صحة موقعة بوسين، في صحة الحجر الأسود Hoba Black Chapter هذا اسم سكني، يامستر دافورين، صفي حة زهرة البرتقال المستديرة.

(يغني بصوت صارخ)

هل ذهبت إلى معرض الزهور، حيث الورود والياسمين، كي تمتع عينيك بمنظر الجائزة التي حازتها زهرة البرتقال المستديرة

هاي هو.. ها هو.. هاي هو

(بينما كان جريجسون يغني، يسمع صوت محرك سيارة تسير بسرعة، يبدأ الصوت خافتا أول الأمر آخذا في الارتفاع، ثم لا يلبث أن يتوقف مرة واحدة في مكان ما قد يكون قريبا جدا من البيت.. الأمر الذي يضع نهاية مفاجئة لأغنية جريجسون الكل في ذهول، يرهفون السمع لصوت المحركات التي تسمع بوضوح. جريجسون، وقد فاق لنفسه إلى حد معقول، يثبت عينيه في قلق على الباب، سيوماس ينهضُ من فراشه وينصت في قلق، يشعل دافورين الشمعة بيد مرتعشة، ويبدأ في البحث، وهو في عجلة من أمره، عن شيء مابين الكتب والأوراق الموجودة على المنضدة).

جريجسون : (بصوت مرتجف) ليس هناك مايدعو إلى الخوف، فلا يمكن أن يصلوا إلى هنا.

مسز جريجسون : لا قدّر الله، سيكون الأمر فظيعا لو أتوا في هذه الساعة من الليل.

سيوماس : ذلك مالا تعرفينه الآن يامسز جريجسون، فقد يقتحمون البيت، في وقت لا يكون لديك فيه أدنى توقع

لوصولهم. ما الذي سيفسر عنه كل هذا بحق الله؟ ليس هناك من يستجيب لما تحض عليه الوصايا العشر، الأمر الوحيد الذي له يستجيبون هو «ارفعوا أيديكم إلى أعلى» آه.. إنه بلد تعيس.

جريجسون : ايش.. هل تسمعهم يتكلمون في الخارج عند الباب؟ أنت الآن لا تعرف مكانا لحياتك، إن كانت آمنة في كل مكان، فهي آمنة في أي مكان. إنهم لا يميزون بين إن كنت مواليا (أي موال). فإن كنت «جمهوريا» أمروك بأن تغني «حفظ الله الملك» وإن كنت ملكيا، أمروك بأن تغني «أغنية الجنود». والغناء لا غبار عليه، مالم يطلبوا منك بعد ذلك أن ترقص.

مسز جريجسون : قد لا يصلوا إلينا مالم يكونوا قد سمعوا شيئا عن مستر دافورين.

دافورين : عني؟ وماذا يمكن أن يسمعوا عني؟

جريجسون : لن تعثر أبدا على أولئك الذين يكممون أفواههم. فقد كنت الليلة في ملهى «البلولايون»، ومن تظن أنه كان موجودا هناك يباهي بنفسه غير ذلك المخبر الصغير المدعو تومي أوينز، لقد كان يقول لكل من رآه بأنه يعرض أين تكون القنابل، وأنه صديق لجنرال سابق بالجيش الايرلندي، وانه يستطيع أن يخبرهم عمّ كانت تعتزم الجماعة عمله، وفي مقدوره أن يضع يده على أطنان من المسدسات، إذ هي على بعد ميل واحد من

مسكنه، ولكنه يعرف مايعرف ويحتفظ بما يعرفه لنفسه.

سيوماس : حسن، فليلعنه الله، ذلك المخبر الصغير، أمثاله هم الذين يستحقون الشنق (إلى دافورين) عم تبحث بين الكتب والأوراق يادافورين؟

دافورين : عن رسالة أخذتها اليوم من مستر جاليكار ومسز هندرسون، ولا أعلم أين وضعتها.

سيوماس : (مغيظا) يمكنك البحث عنها في الصباح.

دافورين : إنها موجهة إلى الجيش الجمهوري الايرلندي، وتحسبا لاحتمال الإغارة على البيت، ومن الأسلم لنا التخلص منها.

(تسمع مرة أخرى طلقات نارية في اطاره، تعقبها صيحات عالية: قف، قف، قف!).

مسز جريجسون : اعتقد أنه يحسن بنا أن نأوي إلى الفراش، ياربي، فمن غير اللائق أن نبقي مستر دافورين ومستر شيلدز مستيقظين.

سيوماس : وماذا حدا بهم إلى إعطائك مثل هذه الرسالة.. ألا يعرفون الحالة التي يمر بها البلد، لقد كنت مخطئا في أخذها، هل وجدتها؟

دافورين : لا، لم أعثر عليها في أي مكان، أليس ذلك فظيعا؟

جريجسون : طابت ليلتك يامستر دافورين، طابت ليلتك يامستر شيلدز

مسز جريجسون : طابت ليلتك يامستر دافورين، طابت ليلتك يامستر شيلدز.

(يخرجان، سيموس ودافورين منشغلان غاية الانشغال بالبحث عن الرسالة إلى درجة لم يردًا معها على ما ألقي عليهم من «الليالي الطيبات»).

سيوماس : فيم كنت تفكر عندما أخذت مثل هذه الرسالة، أيتها الأرباب، اما من عقول في رؤوس الناس! (ياله من بلد تعيس هل بحثت في جيوبك؟

دافورين : (يبحث في جيوبه) آه، الحمد لله، هاهي.

سيوماس : احرقها الآن. أرجوك، استحلفك بالله، ألا تأخذ رسائل كهذه مرة أخرى. هاهي السيارة قد ابتعدت، والآن يمكننا أن نخلد إلى النوم ماتبقى من هذه الليلة على سبيل التأكد من أن كل شيء على مايرام، الق نظرة على حقيبة ماجير، ولو أنها لا تحوي شيئا.

دافورين : وإذا كانت لا تحوي شيئا، فما جدوى القاء النظرة؟

سيوماس : وإلقاء النظرة لن يقتلك، أو أنه يقتلك؟

(يذهب دافورين إلى الحقيبة، ويضعها على المنضدة ويفتحها، يقفز إلى الخلف، شاحب الوجه، مرتعش الأطراف).

دافورين : يا إلهي، إنها مملوءة بالقنابل.. قنابل ميلز!

سيوماس : اللهم احفظنا، إنك تمزح!

دافورين : لو وصل «ذوو الأردية البنية» إلى هنا لتبين لك ما إذا كنت أمزح أو لا أمزح.

سيوماس : أليست هذه مصيبة ألمت بنا.. نظرة ياسانت أنطونيو!

دافورين : لا فائدة من لوم السانت أنطونيو، لماذا أذنت لماجير بترك الحقيبة عندنا؟

سيوماس : لماذا أذنت له بترك الحقيبة عندنا؟ لماذا أذنت له بتركها هنا؟ وكيف يتأتى لي أن أعرف مابها؟ ألم يخطر ببالي أنه لم يكن بها شيء آخر غير الدبابيس والملاعق؟ ما العمل؟ ما العمل الآن؟ يا أم يسوع، رحماك من غارة في هذه الليلة! لقد عرفت بأن الأمور ستسوء بي عندما فاتني القداس صباح اليوم.

دافورين : دعك الآن من صلواتك، ولنفكر فيما ينبغي عمله. هناك شيء واحد لابد من عمله، بمجرد أن يحل علينا الصباح، سأهرب من هذا البيت.

سيوماس : تفكر في نفسك، شأن بقية الآخرين. وتتركني اتحمل مغبة الأمر وحدي.

دافورين : ولماذا لا يجب أن تتحمل مغبة الأمر وحدك؟ لم يكن ماجير صديقي، فضلا عن أنها غلطتك، لقد كنت تعرف سلوكه، وكان عليك أن تأخذ حذرك

سيوماس : هل كنت أعرف أنه من المقاتلين؟ هل كنت أعرف أنه من المقاتلين؟ هل كنت أعرف أنه من المقاتلين؟ هل

دافورين : هل نعني القول بأنك .

سيوماس : لحظة

دافورين : لم تكن تعرف

سيوماس : لحظة

دافورين : ان ماجير كان منخرطا في سلك

سيوماس : (عاليا) لحظة، ألا يمكنك...

دافورين : حركة المقاومة الجمهورية؟ ما الفائدة من محاولة اختلاق الأكاذيب؟! (ميني باول تندفع داخل الغرفة في بعض ملابسها، وتضع شالا على كتفيها تبدو في حالة ذعر شديد).

ميني : مستر دافورين، دونال، إنهم يحاصرون البيت، ولابد أنهم سيغيرون على المكان، كنت أطل من النافذة ورأيتهم، فقد اعتدت مراقبتهم كل ليلة، هل في حوزتك شيء، إن كان في..

(يسمع طرق عنيف متواصل بباب الشارع، يعقبه صوت زجاج يتهشم، وطرق على الباب وبمؤخرات البنادق).

مينى : هاهم، هاهم، هاهم!

(يستلقي دافورين على الفراش، شبه مغمى عليه، أما سيوماس فيقوم وقد بدا كمن يصلي صلاة الخوف، ميني الوحيدة التي تحتفظ بحضور الذهن عندما ترى ماهم عليه من ذعر تستعيد هدوءها. وإن كانت الكلمات تخرج من فمها متلاحقة، وتؤدي حركاتها بخفة حاسمة)

ميني : ماهو. ماذا لديك، وأين هي؟

دافورين : قنابل، قنابل، قنابل، يا إلهي، في الحقيبة الموضوعة على هذه المنضدة، لقد افتضحنا، افتضحنا!

سيوماس : رحماك مريم المباركة البتول صلى من أجلنا نحن المذنبين البؤساء سانت انطونيو هل تسمعهم يطرقون الباب؟ الآن - في ساعة موتنا - ابتهل بشيء من الاستغفار، يادونال.. هاهو الزجاج ينكسر!

ميني : سأنقلها لغرفتي، قد لا يفتشونها، ولو حدث، فلن يمسوا فتاة مثلي بأذى... إلى اللقاء يادونال.

(إذ تخرج والحقيبة في يدها، تنظر في حب وإعجاب إلى دافورين الذي يبدو فقط شبه واع).

سيوماس : لو عبرنا هذه اللحظة بسلام، لن أدع أي قداس يفوتني مرة أخرى! إن كانوا من الجنود النظاميين فلن يكون الأمر سيئاً جدا، أما إن كانوا من «ذوي الأردية البنية»، فأمامنا وقت عصيب!

ينفتح باب الشارع عنوة، ويسمع وقع أقدام ثقيلة في الصالة، تتخللها نداءات «سلط الضوء هنا» يفتح أحد الجنود المرتزقة باب الغرفة، ويدخل، يحمل في يده مسدسا، وفي اليد الأخرى مصباحا كهربائيا. يرتدي بدلة سوداء وبيريه أسود)

الجندي : من هنا؟

سيوماس : (كما لو أنه لا يعلم شيئا) من.. من أنت؟

الجندي : (في نبرة قاطعة) من هنا؟

سيوماس : رجلان فقط، ياسيدي، أنا وزميلي الذي ينام في السرير الآخر.

الجندي : لماذا لم تفتح الباب؟

سيوماس : لم نسمعك تدقه ياسيدي.

الجندي : لابد أنك ثقيل السمع، هه.

سيوماس : أصبت منذ سنوات بحمى روماتزمية، ومنذ هذا الوقت، يعتريني ثقل السمع بين الحين والحين.

الجندي : (لدافورين) لم لم تلزم سريرك؟

دافورين : كنت في سريري، وعندما سمعت الطرق قمت لأفتح الباب

الجندي : صديق كريم، مسرور جدا، كما لو كنت تتوقع زيارة منا، أليس كذلك؟ أليس كذلك (يهدده بالضرب) لم لا تجيب.

دافورين : نعم ياسيدي

الجندي : ما اسمك؟

دافورين : دافورين، دان دافورين ياسيدي.

الجندي : لست ايرلنديا، أليس كذلك؟

دافورين : أنا. أنا.. أنا كنت قد ولدت في ايرلندا

الجندي : آه، كنت، كنت، مواطن ايرلندي، وفخور بذلك، أليس كذلك؟ (لسيوماس) ما اسمك؟

سيوماس : سيوما .. آه، كلا جيمس شيلدز ياسيدي.

الجندي : آه، سلتي (يعني كلتي) من الجنس السلتي الذي يتكلم لغة خاصة به، وذلك، ماسيطيح بالامبراطورية.. لا أظن! والآن، أين بندقيتك؟

سيوماس : أنا لم أحمل بندقية في يدي طول حياتي

الجندي : والآن، ألن تعرف البندقية لو رأيتها، على ما أظن؟

(يستعرض المسدس ويقلبه في يده دون اكتراث) والآن ما هذا؟

سيوماس : آه، انتبه ياسيدي، انتبه.

الجندي : لماذا؟ إلى أي شيء انتبه؟

سيوماس : البندقية ياسيدي، قد تنطلق.

الجندي : وماذا يحدث لو انطلقت؟ - يمكن تعميرها بسهولة - هل توجد أية ذخيرة هنا؟ ماذا في هذه الصحيفة؟

(يفتش في محتويات الصحيفة ثم يبعثرها)

سيوماس : شيء من الطعام لا غير، لن تجد هنا شيئا ياسيدي، فلا علاقة لأحد في هذا البيت بالسياسة.

الجندي : والآن؟ حتى هذه اللحظة لم أقابل أحدا قال غير ذلك، ولكننا الآن لسنا من الغباء حتى ننخدع بهذا النوع من الكلام.

سيوماس : هل لي أن أذهب لاتناول جرعة ماء؟

الجندي : ستحتاج إلى برميل من الماء قبل أن تنتهي منا (يذرع الغرفة ويتفحص أركانها) أهلا! ماذا هنا؟ تمثال للمسيح! وصليب! تظن نفسك في دير مزهر Blooming.

(تدخل مسز جريجسون، شعرها أشعث، وملابسها)

مسز جريجسون : يقلبون المكان رأسا على عقب، لقد بعثروا كل شيء أعلى الدرج وأسفله. أعوذ بالله إنه شيء فظيع ذلك الذي يتعرض له من يحترمون القانون. لقد وجدوا تحت وسادة دولفي زجاجة ويسكي سعتها باينت، وشربوها حتى آخر قطرة فيها، وفي الصباح سينقلب دولفي إلى شيطان عندما يكتشف أنه لا يملك مايشفيه.

(وكله اهتمام عندما يسمع كلمة ويسكي) زجاجة ويسكى، أين تقيمين؟ أسرعي، أين تقيمين؟

مسز جريجسون : تحت، في المطبخ . عندما تنزل أرجوك أن تطلب إليهم ألا يشربوا .. آه، ذهب دون أن يسمع كلامي.

(بينما كانت مسز جريجسون تحدثه يندفع الجندي خارجا)

سيوماس : (في قلق إلى مسز جريجسون) هل سيفتشون البيت كله، يامسز جريجسون؟

مسز جريجسون : لم يدعوا شيئا في المطبخ إلا ويلقونه على الأرض، كل مافي الخزانة، وكل ما احتفظ به في الصندوق الكبير، و...

سيوماس : آه، إنهم عصابة من الأجلاف، هل صعدوا إلى الدور العلوي؟ لا أظن أنهم سيفتشون غرفة ميني، أتظنين أنهم سيفعلون يامسز جريجسون؟

مسز جريجسون : قبل أن يدخلوا، وضع دولفي الإنجيل الكبير على المنضدة، لا لشيء إلا ليبين لهم إلى أي صنف من الناس ينتمي، وفتحه على الرسالة الأولى لبطرس الرسول، الإصحاح الثاني، ووضع خطا بالحبر الأحمر تحت الآيات من الثالثة عشرة إلى السابعة عشرة، وأظنك تعرف ماتعنيه هذه الآيات يامستر شيلدز.

(تستشهد بهذه الآيات)

«اذعنوا لأي أمر بشري من أجل الرب، سواء أصدر عن الملك، سيد الجميع، أم عن الحكام الذين فوضوا سلطته لعقاب فاعلي الشر، وإثابة فاعلي الخير.. أحبوا الإخوة، خافوا الله، عظموا الملك».

لكن، أتدري ماذا فعلوا، لقد أمسكوا بالإنجيل ورموه على الأرض. تصور يامستر دافورين، يرمون الإنجيل على الأرض! ثم ابتدر أحدهم زميلا له قائلا: جاك، هل رأيت النور؟ هل لاذت روحك بالخلاص، ياجاك؟ ثم أمسكوا بدولفي المسكين، بعد أن أطلقوا عليه اسم مستر مودي، ومستر شانكي، وطلبوا منه أن يصلي

للجمهورية الايرلندية! وبعد أن ألقوا به إلى خارج المطبخ، اجلسوه على السرير، يداه مصلوبتان على صدره، عيناه إلى السماء، وأخذ يغني «سنلتقي في مستقبل الأيام» وطيلة هذا الوقت، يامستر شيلدز كانوا يشربون الويسكي، ولعل ما يؤلم حقا هو أن تراهم يسخرون مما كان يلاقيه دولفي من عذاب.

دافورين : بحق كل ماهو معقول، ماذا حدا به لإحضار الويسكي إلى البيت، ألا يدري بأنهم سفلة وهم واعون، فما بالك إذن وهم مخمورون؟

مسز جريجسون : (في تأثر) لقد اعتاد أن يحضر معه يوميا شيئا منه، يقول إن فيه دواءه.

سيوماس : (لايزال قلقا) ربما لا يفتشون البيت كله، أتظنين أنهم سيفعلون يامسز جريجسون؟

مسز جريجسون : لدينا فوق رف المدفأة، صورة للملك ويليام وهو يعبر نهر بوان، هل تدري بأنهم أحبوا أن ينظروا إليها على أنها صورة لروبرت ايميه، ومرة أخرى نظروا إليها على أنها صورة لجماعة سرية.

سيوماس : هذه المرأة لا تصغي أبدا لأي كلمة أقولها! أووف، إنه لبلد تعيس، وشعب تعيس!

دافورين : استحلفك بالله أن تطلب إليها تغيير هذا الموضوع، فهي أسوأ من الجنود أنفسهم

سيوماس : (متأمل – متفكر) دعها تمكث حيث هي، فلعله أكثر أمنا لنا أن تكون بالغرفة معنا امرأة لو عثروا بالصدفة على القنابل، أرجو الله ألا تقر ميني بشيء

دافورين : نحن زوج من الجبناء التافهين إذ ندع ميني المسكينة تتعذب في حين أننا نعلم أننا الملامان وليست هي.

سيوماس : وماذا علينا أن نفعل غير مافعلنا يارجل؟ أتود أن نضبط متلبسين؟ ان كنت تواقا إلى القبض عليك، فليس عندي استعداد لذلك، فضلا عن أنهم لن يلحقوا بها أي أذى، فهي مجرد فتاة، ومادامت ممسكة عن الكلام، فالأمور ستسير على مايرام.

دافورين : أتمنى أن أتأكد من هذا

سيوماس : أتظنين أنهم سيفتشون يامسز جريجسون؟ ماذا يفعلون الآن؟

مسز جريجسون : (التي تقف بالباب، تنظر إلى الصالة) ليس في بدني كله قطعة واحدة لا تهتز!

سيوماس : هل صعدوا إلى الدور العلوي يامسز جريجسون؟ أتظنين يامسز جريجسون بأنهم سيرحلون في الحال؟

مسز جريجسون : عندما كانوا يحاولون إجلاسه على الفراش، أشهد الله بأنه كان يهيأ لي في كل دقيقة تمر بأن بنادقهم ستنطلق، ثم أرى دولفي المسكين جثة هامدة على الفراش . امش، انصت، اسمعه يبكي

سيوماس : من الأحسن لك أن تتكلمي مع صنم! إنهم جميعا تعساء، تعساء، لا يرجى منهم شيء! إنها تظنه يبكي، هناك من سيبكيه عما قريب

دافورين : (في محاولة مريضة لبعث الفكاهة) يبكي حسرة على ماراح من ويسكي!

(أثناء استمرار ماسبق من حوار، تسمع أصوات غارة.. أوامر. وقع أقدام ثقيلة، تحرك قطع أثاث وخلاف ذلك. الآن تظهر بوضوح – امارات اضطراب أكيد ومحدد – أصوات أوامر غاضبة وعالية «هيا، اخرجي، واركبي اللوري، وتختلط هذه الأصوات بصوت ميني باول وهي تهتف متحمسة، ولكن في قليل من الهستيرية : «عاشت الجمهورية»)

مسز جريجسون : اللهم احفظنا، يقبضون على ميني، يقبضون على ميني باول (تهرع إلى الخارج) ماذا يمكن أن يحدث بحق الرحمن؟!

سيوماس : بحق سانت أنطونيوس المقدس، ليتها تمسك عن الكلام.

دافورين : (يجلس على السرير مخفيا وجهه بيديه) لن نقوى مرة أخرى على رفع رؤوسنا إن حدث مكروه لميني.

سيوماس : أناشدك الله التزام الصمت وإلا سمعك أحد، لن يحدث لها شيء، أى شيء إطلاقا، إنها ستكون على مايرام في حالة ما إذا أمسكت عن الكلام.

مسز جريجسون : (تجري إلى داخل الغرفة) هاهم بعد ان وقعت ايديهم على كمية كاملة من المواد في غرفة ميني تكفي لنسف شارع بكامله، ذلك ماقاله الهجانة، الله لنا فى هذه الثنية . من كان يتوقع كل هذا من ميني باول..

سيوماس : هل قالت شيئا، هل تقول شيئا، أي شيء، ماذا قالت يامسز جريجسون؟

مسز جريجسون : تهتف «عاشت الجمهورية» بأعلى صوتها، ومسز هندرسون «الغنيظة» كانت تقاتل أحد الجنود، وبعد أن طرحته أرضا، حملوها هي أيضا في اللوري.

سيوماس : عليها اللعنة! أما كان بوسعها أن تهتم بشئونها الخاصة؟ مالذي كانت تريده من وجودها هنا.. ألم تكن تعلم بالغارة؟ هل البلد برمته فى سبيله إلى

الجنون؟ ستنطلق النار خلال دقيقة من الآن، ويموت الأبرياء!

دافورين : ياترى، كيف سيعاملون ميني يامسز جريجسون؟ هل يتعاملون معها بخشونة؟

مسز جريجسون : لا يمكن أن يكونوا أقل خشونة معها تلك التافهة الصغيرة، المخادعة، كادت أن تنسف البيت.. الله لنا في هذه الليلة، من كان يتوقع أن يخرج كل هذا من ميني بأولز.

سيوماس : نسأل الله ألا تقول شيئا! هل رحلوا يامسز جريجسون؟

مسز جريجسون : يالجواربها الزاهية، ويالقبتها المتطاولة وقمصانها الكريب! لقد عرفت بأن هذه البنت لا يرجى منها خير!

سيوماس : نسأل الله ألا تقول شيئا.. هل رحلوا يامسز جريجسون.

مسز جريجسون : رحلوا يامستر شيلدز. وها هو دولفي المسكين عريان.. دولفي ياحبيبي، أنت بخير، لقد ظننت بأنك لن ترى الصباح!

جريجسون : (يدخل دون معطف ودون صديري) طبعا، بخير، وماذا يقلقك أنت على دولفي جريجسون .. ليس من هجانة «التانز» على أي حال

مسز جريجسون : عندما رأيتك ممددا على السرير، وأنت تغني. تغني نشيد.. .

جريجسون (خائف مما قد يجره كلامها من إذلال له) ومن التي كانت تغني؟ هل تسمعين؟ يادولفي أكلمك أين سمعتني وأنا أغني نشيدا؟

مسز جريجسون : كنت أمزح فقط يادولفي ياحبيبي

جريجسون : مكانك ليس هنا تحت، وليس هنا مع الرجال، هيا انزلي فورا! (تترك مسز جريجسون الغرفة فورا)

جريجسون : (يهرج غليونه في ثقة وثبات، ثم يحشوه، ثم يشعله ويبدأ في التدخين) دقائق مثيرة يامستر دافورين . لقد فقدت مسز جريجسون صوابها، لكن ذلك شيء طبيعي بالنسبة لامرأة، فكل النساء ضعيفات الأعصاب الموقف الوحيد الذي يتعين عليك في مثل هذه الأحوال هو أن تظهر لهم بأنك لا تخاف منهم، أما إذا أظهرت لهم أدنى بادرة من الخوف، فإنهم يقضون عليك... هكذا ببساطة يقضون عليك... جاءني اثنان منهم

قائلين:«ارفع يديك» والمسدسات مشهورة تحت أنفك، طبعا أنت تعرف بأن هذا هو التقليد المعتاد، وسألتهم في هدوء تام:«ماذا حدث» وأجاب أحدهم: «لاشيء على الإطلاق» كل مافي الأمر آن هذه البندقية قد تنطلق في آي وقت وتقتل آي إنسان.. هل تفهمني؟، رددت عليه: «وماذا لو انطلقت، الإنسان لا يموت إلا مرة واحدة، وهاهو مستر جريجسون أمامك لن تسمع له صيحة» فرد أحدهم: «يا إلهي أنت رجل بارد ولا سبيل لقهرك».

سيوماس : تلك هي أحسن طريقة لمعاملتهم، فلعل مما يزيد الامر سوءا أن تظهر لهم بأنك مهتز، «هل توجد ذخيرة هنا؟» ذلك ماقاله الرفيق الذي دخل هنا. أجبته: «لا أظن، لكن يستحسن أن تلقي نظرة» فرد عليّ «ولا كلمة، وإلا قتلتك»، فما كان مني إلا أن قلت «لا أعرف في الدستور البريطاني مادة واحدة تجرّم رجلا يتكلم في غرفته الخاصة» وعليه، آلقى نظرة على ماحوله ثم مضى إلى سبيله.

جريجسون : لو صمد الواحد منا مرفوع الجبين، ثابت الجنان.. يارحمن، يارحيم. كمين آخر.

(يسمع صوت انفجار لقنبلتين بالشارع، خارج المنزل،

يعقبه صوت طلقات نارية عنيفة متلاحقة من مسدس وبندقية. حركة الناس وهم يتدافعون بالساحة، جلبة وضوضاء. يقبع سيوماس ودافورين داخل غرفتهما أما جريجسون - بعد بضع دقائق من التردد - اندفع بسرعة إلى خارج الغرفة إلى حيث يظن أنه أكثر أمنا... مطبخه الحصين يعقب هذا فترة من الهدوء يتخللها صوت طلق ناري غريب يصدر عن بندقية، يليه سكون غريب مشوب بالتشاؤم، يبدده حركة وهرج ومرج لجمع من الناس صوت أسئلة تسمع. «من الذي قتل؟» و«أين قتلت؟» وتكون الإجابة: «ميني باول»، «حاولت أن تقفز من اللوري فأطلقوا النار عليها»، (لم تمت، أليس كذلك؟)، (يقولون إنها قتلت بطلقة في صدرها)

دافورين : (في نبرة شك مشوبة بالفزع) أتسمع مايقولون ياشيلدز، أتسمع مايقولون؟.. قتلت ميني باول.

سيوماس : استحلفك بالله أن تتكلم بهدوء، ولا تجرهم إليها مرة أخرى.

دافورين : أذلك كل ماتحسب حسابه؟ هل تعلم بأنها ماقتلت إلا [illegible].

سيوماس : هل هى غلطتى؟ هل أنا الملام؟

دافورين : طبعا غلطتنا «نحن الاثنان»، آه، زوج من الجبناء الأنذال، لأننا تركناها تفعل مافعلت.

سيوماس : لقد فعلته من تلقاء نفسها. لم نطلب منها أن تفعل شيئا

(تدخل مسز جريجسون هائجة فزعة، وقد انتابها مايشبه اللوثة، متأثرة من أعماقها لهذا الحادث المأساوي)

مسز جريجسون : (ترمي بنفسها جالسة على أحد السريرين) وماذا سيحدث بعد هذا؟ آه يامستر دافورين، إنه لشيء فظيع فظيع! (ميني باول، ميني الصغيرة المسكينة قتلت، كانوا يغيرون على عدد من المنازل، وما إن استقلوا سيارتهم عائدين حتى وقعوا في كمين .. يالها من طلقات لم نسمع بها من قبل. وفي غمرة هذا الحادث حاولت ميني أن تقفز من السيارة التي كانت بداخلها، فأردوها قتيلة بطلقة واحدة في صدرها. آه، كم هو فظيع أن ترى منظر الدماء تتدفق من صدرها، وميني تحتضر. وجدوا ورقة في صدرها مكتوب عليها اسمها «ميني» واسم آخر لم يستطيعوا أن يتبينوه من الدماء التي تغطيه. تحفظ عليها الضابط. حملتها سيارة الإسعاف إلى المستشفى، لكن ما الفائدة بعد أن

فاضت روحها! ميني الصغيرة المسكينة، ميني باول الصغيرة المسكينة! لا أكاد أصدق بأنك منذ دقائق كنت تنبضين بالحياة، والآن قد ماتت

دافورين : أواه لي، واحسرتي، ألم، ألم مقيم، ألم أبدي! إلى الأبد! فظيع أن أصدق بأن ميني الصغيرة قد ماتت، لكن الأكثر فظاعة أن نصدق بأن دافورين وشيلدز لايزالان على قيد الحياة أواه دونال، حسبك العار من الآن وحتى ينقطع الخيط الفضي وتتحطم الآنية الذهبية، أواه دافورين. دونال دافورين، شاعر وجبان، جبان وشاعر!

سيوماس : (مكتئبا) لقد علمت بأن شيئا ما قد يتمخض عنه النقر على الحائط!

ستـــار